# هيرودوت فى مصر

## القرن الخامس قبل الميلاد

نقله من اليونانية

**وهيب كامل**

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

تصميم الغلاف: **محمد عطية**

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

---

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

مقدمة

# هيرودوت

## ( أ ) حياته وفنه

لقد ضن التاريخ على أبى التاريخ بحفظ قصة حياته فى سجله الذى يوشك أن يسع كل شىء. فليس لدينا من الوثائق ما يتيح لنا أن نقطع برأى فى تاريخ مولده أو مماته أو حادثة من حوادث حياته. وإن الصورة الذهنية التى يتمثلها قراء التاريخ لهيرودوت مستخلصة من كتاب هيرودوت نفسه.

قال جيليوس فى كتابه «الليالى الآثينية» (١٥، ٣٣): إن هيرودوت ولد عام ٤٨٤ ق. م. ولكن جيليوس ليس حجة معتمدة فى إثبات التواريخ فنأخذ بما قال فى حيطة وحذر. ويبدو من كتاب هيرودوت أن صاحبه قد شاهد بعض حوادث الحرب البيلوبونيزية (٤٣١ ق. م – ٤٠٤ ق.م) فى مرحلتها الأولى. إذن فمن المرجح أن يكون هيرودوت قد عاش بين الحرب الميدية (٥٠٠ ق.م – ٤٧٥ ق.م) التى دفعت بحضارة اليونان إلى ذروة المجد، وبين الحرب البيلوبونيزية التى كادت تودى بهذه الحضارة. فهو إذن كان يتنفس فى العصر الذهبى من التاريخ اليونانى.

ولد هيرودوت فى مدينة هاليكارناسوس فى إقليم كارية فى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى، فإذا أخذنا بما قرره جيليوس من تاريخ مولده فقد ولد إذن من رعايا ملك الفرس.

وتعلم فى وطنه فأتقن القراءة والكتابة والحساب، ثم عكف على الموسيقى ونهل من معين الشعر فورد منهل هوميروس واغترف منه كلفا منهوما، وتذوق شعر سائر الشعراء. أما النثر، ولم يكن قد بلغ قبله شأوا بعيدا، فقد ألمّ به ونظر فيه.

ولم تكن الأحوال مستقرة فى هاليكارناسوس إذ لم تكن التقاليد الديمقراطية ثابتة الدعائم فيها، فقام فيها طاغية يدعى ليجداموس اضطهد خصومه وتعسف فى إيذائهم، وقتل فيمن قتل عم هيرودوت الشاعر بانياسيس. وأغلب الظن أنه نفى مؤرخنا وصادر أملاكه، فهجر موطنه إلى جزيرة ساموس فيما يظهر. فقد كان خبيرا بمواقعها وأحوالها ولعله أتقن هناك اللهجة الأيونية التى كتب بها. لكنه ظل على علم تام بما يجرى فى موطنه من حوادث، وبالتيارات السياسية المختلفة التى تسوده، وبروح مواطنيه المعنوية. فلما واتته الفرصة رجع إلى وطنه وعاون فى طرد الطاغية وتثبيت النظام الديمقراطى. ولكنه - فيما قال المؤرخ سويداس (تحت اسمه) - لم يجد نفسه محبوبا لدى قومه فهجرهم طائعا مختارا إلى مدينة ثوريوم فى الوقت الذى كان أهل أثينا يستعمرونها فيه، ومات فى ثوريوم ودفن فى سوق المدينة. تلك رواية سويداس ليس علينا من بأس إذا أخذنا بها فليس هناك ما يناقضها.

وكان هيرودوت شديد الإعجاب بأهل أثينا فزارهم، وروى لهم ما تيسر من قصصه التاريخى، فاعترفوا بما أسداه إليهم من نفع وما قدمه

لهم من متعة؛ فقرر مجلسهم النيابى سنة ٤٤٥ ق.م أن يمنح عشرة طالنط مكافأة له على إحسانه. ولم تكن زيارته تلك عابرة ففى تاريخه ما يفيد معرفته التامة بمواقع البلاد ونفسية أهلها مما لا يتيسر إلا بالإقامة الطويلة بين ظهرانى أهلها. وفى أثينا توطدت أواصر الصداقة بينه وبين سوفوكليس الذى أعجب لاشك بكتاباته فأشار إليه فى بعض رواياته، وأهدى له مقطوعة من شعره. ويظهر أن شهرة هيرودوت طوقت أثينا كلها وسرت فى مختلف طبقاتها، فقد أشار أريستوفانيس إلى «تاريخ هيرودوت» فى كثير من مسرحياته، وليست الكوميديا مجالا للإشارة لغير المعروف المشهور لدى الجمهور.

لعل ذلك هو كل ما نستطيع أن نقرره على وجه التحقيق من قصة أبى التاريخ. أما حياته، وهيئته، ورحلاته، ومؤلفاته ومنهج تأليفه فكلها مجال للظن والتخمين والاستنتاج.

فإن مصادرة أملاكه ونفيه وقتل عمه على يد الطاغية، ورجوعه إلى وطنه لطرد الطاغية أمور تشير كلها إلى أنه كان من بيت كبير، له بين القوم حظوة أثيرة ومكانة عالية وصوت مسموع. وإن فى رحلاته العديدة البعيدة الشقة فى عصر تصعب فيه الرحلة وتبهظ فيه نفقاتها دليلا على أن الرجل كان ميسر الحال قادرا على الإنفاق على هذه الرحلات.

وليس فى كتابه بعد ذلك ما ينير الطريق أمام مترجم حياته. فقد كان من الدروس التى تعلمها عن هوميروس وأتقنها أن يخفى شخصيته فى فنه، فلا يتناول نفسه وعواطفه ودوافعه بالبيان والإيضاح. فصارت

الموضوعية غالبة على كل ما قال، فيما عدا ما يذكره أحيانا من أنه رأى هذا الشيء أو ذاك بعينى رأسه، أو ارتحل إلى هنا أو هناك ليقف على الحقيقة بنفسه.

فمتى كانت هذه الرحلات؟ وما السابقة منها وما اللاحقة؟ وكيف دبَّر أمرها؟ وكيف أنفق عليها؟ وهل صحبه أحد فيها؟ كل هذه أسئلة لا جواب فى تاريخه عليها. ولكن الكتاب فى جملته شاهد على أنه زار مصر وصَعَّد فيها جنوبا إلى الشلال الأول، وزار سوريا وجاوز بابل وسوسا وهمذان، وتنقل بين شواطئ البحر الأسود وجنوب روسيا، أى أنه ارتحل مسافة ٣١ درجة طول من الشرق إلى الغرب و٢٤ درجة عرض من الشمال إلى الجنوب.

ولكن تاريخ هذه الرحلات كما قلنا مجهول، اللهم إلا ما نعرف من أنه زار مصر بعد عام ٤٥٩ ق.م. وأنه قد زار سكيثيا قبل ذلك التاريخ.

وغرضه من هذه الرحلات مجهول كذلك. فهل زار هذه البلاد ليجمع مادة لتاريخه بعد أن اختمر الموضوع فى ذهنه فترة طويلة من الزمان؟ أم أنه زار هذه البلاد بدافع من التجارة والربح فجاء تاريخه نتيجة لهذه الزيارات؟

حقا إن هيرودوت زار كثيرا من المرافئ وعنى ببيان طرق النقل، وأظهر معرفة واسعة بالسلع وأنواعها وطرق تميزها وأسواقها المختلفة مما يرجح الرأى الثانى. ولكن زياراته شملت المراكز الثقافية كما شملت المراكز التجارية، ثم إنه يقول صراحة إنه أبحر من مصر إلى صور ليستوثق من رواية البعض فى هرقل (٤٤)* . فإذا كان ترحاله بغية الوقوف على

* الرقم دائما يشير إلى الفصل.

الحقائق التاريخية وجمع مادة تاريخه بالسماع والمشاهدة أو جمع المخطوطات، فكيف كان يحصل معاشه وقد كان مشردا منفيا؟ ومن أين له القدرة والخبرة بالقراءة المجودة حتى استحق ما نال من مكافأة فى أثينا؟ أغلب الظن أنه كان يجد من الجاليات اليونانية المغتربة – فيما زار من أصقاع – جمهورا استمع إلى ما روى من تاريخ، فكسب الشاعر خبرة بفن الإلقاء ورزقا استعان به على الحياة ومتابعة الرحلات.

❑❑❑

كان هدف هيرودوت كما أثبته فى مستهل تاريخه هو كتابة تاريخ الحرب اليونانية الفارسية أو الحروب الميدية، ولكنه رأى أنه لابد للوصول إلى أسباب هذا الصراع العنيف فى جذورها البعيدة من وصف نشوء الإمبراطورية الفارسية، فكتب تاريخ ليديا ووصف فتوحات كرويسوس وأعماله مقدمة لنشوء الإمبراطورية الفارسية. وقد غزا الفرس مصر، فكان ذلك إيذانا باستطراد طويل فى وصف مصر وعادات أهلها ورواية تاريخها فى كتابه الثانى.

وكانت حملة دارا على الاسكيثيين فاتحة استطراد طويل آخر فى وصف سكيثيا وعادات أهلها، ثم تستقيم الرواية بعد ذلك إلى الكتاب التاسع وقد عنون كل كتاب منها باسم ربة من ربات الفنون الأدبية التسع، وتطرد فيها الرواية بعض الاطراد. فقد كان من واجب المؤرخ عند هيرودوت أن يضيف إلى روايته كل ما من شأنه أن يفتن الجمهور ويثير فيه حب الاستطلاع؛ فالاستطراد محبب إلى قلبه يلجأ إليه بل هو يسعى إليه ليزيد من طلاوة موضوعه وحسن وقعه فى النفوس. فجاء

كتابه تاريخا للشرق الأدنى كله، وموسوعة فى معتقدات أهله، ووصفا للعالم كما عرفه اليونانيون المعاصرون.

هذا الموج المتلاحق من المعارف والمعلومات يتدفق فى قوة واصطفاق ينحنى أحيانا فى استطراد يقصر أو يطول ولكنه يتجمع آخر الأمر حول المواقع الخالدة فى تاريخ اليونان، حول ماراثون وثرموبيلاى وسلاميس وبلاتيا. فما هى القوة التى تدفع هذا التيار – على الرغم من هذه الانحناءات الكثيرة – إلى هدفه فى قوة وسرعة ويسر؟ هى لا شك الوحدة الفنية. وإنا لا نعنى وحدة الموضوع فالاستطراد وحده كان كفيلا بالقضاء عليها، ولا وحدة المكان فالرحلات المتعددة قمينة وحدها بإخفائها، ولكنا نعنى وحدة الحركة التى تتجلى فى تاريخه كما تتجلى فى روائع الأدب المسرحى اليونانى.

كانت هذه الموسوعة التاريخية مستقاة بالطبع من مصادر متعددة، تصف حضارات لا يعرف المؤرخ لغاتها، ولم تكن كتابة التاريخ قد نحت نحو العلم بعد، فقد كانت يومئذ فنا أدبيا خالصا. ولم يكن تمحيص الروايات وترتيب المصادر بحسب جدارتها بالاعتماد من همّ المؤرخ فى القرن الخامس قبل الميلاد. فإذا اختلفت المصادر هذا الاختلاف البين، وتعددت الروايات فى الشىء الواحد تعددا كبيرا ولم يكن للمؤرخ منهج واضح يعصمه من الزلل كلما التوت به السبل أو تشعبت به الطرق، كان من الطبيعى أن تجىء روايته متفاوتة من حيث قربها من الحقيقة أو بعدها عنها. وهكذا نجد صفحات هيرودوت تقترب تارة من الحق

حتى تـكاد تصيب كبده، وتجانبه أحيانا حتـى لتكاد تجافيه. وليس علـى المؤرخ فى ذلك كله من بأس، فقصـارى جهده أن يثبت ما سمع وأن يثير الشك فى نفس جمهوره إذا لم تكن الرواية جديرة بالتصديق.

ولما كانت مؤانسة الجمهور هدفه الأول فقد عمد إلى القصص الشعبى يزجيه له فى عذوبة جرس وسلاسـة عبـارة، ولو كان هذا القصص مما لا يرقى إلى مرتبة التاريخ. ولكن القصص الشـعبى يدخل هو كذلك فى مجال التاريخ، ومعتقدات قوم بشـأن أنفسـهم فى فترة من الفترات هى كذلك من لباب التاريخ.

ويمتاز فن القصة عند هيرودوت بخصلة لا تفارقه هى ولعه الشـديد بتصوير الشخصيات مسـتقلة متفردة كما يتجلى فى صور قورش وقمبيز ودارا واكزركسـيس وملوك أسـبرطة، وثميسـتكليس وأريسـتيديس من زعمـاء أثينا. وقد تجلت قدرته هذه فى كتابه الثانى فى مصر فى صورة أمازيـس (١٦١ – ١٦٣، ١٧٢ – ١٧٦). ولقـد دفعه هذا الولع بتصوير الشـخصيات إلى العناية بالجانب الشـخصى من حيـاة أبطال قصصه، ليضفى على صورها حياة وحركة كما نرى فى قصة تجربة بسماتيك (٢) وفى قصة كنز رامبسينيتوس (١٢١).

ولم يقتصـر ولعـه بتصوير الشـخصيات على تصويـر أبطال قصصه مـن الأفراد، بل تعداه إلى تصوير شـخصية الشـعوب التى تصطرع فى ميدان تاريخه الفسـيح، فقد ميز صورها فـى أذهان جمهوره بما رسمه من مقوماتها ومشـخصاتها؛ فالمصرى خاشـع متدين، والفارسى مترف خانع، والآثينى شهم متهور، والأسبرطى أنانى متنمر.

وأجاد هيرودوت وصف الشعوب البدائية من الاسكيثيين والتراقيين وأهل شمال أفريقيا، فأبرز مميزاتهم وخصائصهم ونفذ إلى دروب نفوسهم ومسالك تفكيرهم. ولكنه لم يوفق توفيقا كبيرا فى فهم أصحاب الحضارات الشامخة والتراث الفكرى التالد، من بابليين ومصريين وليديين.

وثمة خصلة أخرى لا تفارق هيرودوت هى تجرده من عقائد أهل زمانه الموروثة ونظرته إلى الأشياء نظرة أصيلة ذاتية، فأعانه هذا على فهم الحضارات المختلفة وبيان وجوه امتيازها عن الحضارة اليونانية حتى اتهمه بعض النقاد بالتعصب للأجانب وتفضيلهم على اليونانيين.

واتهم هيرودوت أحيانا بغرارة الذهن وسرعة التصديق ولكن نظرة عابرة فى تاريخه ترينا أنه كان شديد التحرز فى رواية مصادره الشفوية، شديد الاحتفال بإسناد الأقوال إلى قائليها، فإذا ارتاب فى صحة رواية بدأها بالتشكيك فيها والتهوين من شأنها.

ولقد كانت معلوماته الجغرافية سببا فى سخط كثير من النقاد عليه. والحق أن معلوماته فى هذه الناحية ناقصة معيبة، ولكنها على أية حال تمثل ما كان سائدا فى عصره من آراء، فليس فيمن سبقه من الكتاب من كان أكثر منه علما بالجغرافيا.

فقد كان هيرودوت يعتقد مثلا أن الأرض مسطحة. وكان هذا رأى هيكاتيوس أيضا، ولكن هيكاتيوس اعتقد أن الأرض دائرة مسطحة يحيط بها الأوقيانوس. أما هيرودوت فضرب بذلك الرأى عرض الأفق زاعما أنه وهم فى خيال الشعراء (٢٣). هذا مع أن نظرية كروية الأرض كان ينادى

بها الفيثاغوريون قبل نهاية القرن السادس قبل الميلاد، ولكنها لم تقبل فـي مختلف الدوائر إلا بعد زمن هيرودوت بقرن من الزمان عندما كتب أرسطو حججه فيها.

وكان تصـوره الجغرافـي كذلك قاصرا. فهو يروى كيف أن السـفن المصريـة أبحرت فى عهد نيخـوس (٦٠٩ ق.م – ٥٩٣ ق.م) من البحر الأحمر ووصلت ثانية بعد سـنتين عـن طريق أعمدة هرقل (جبل طارق) إلى المكان الذى أبحرت منه. ثم يشـك فيما قرره البحارة من أنهم عندما التفوا حول ليبيا (أفريقيا) كانت الشمس عن يمينهم. وهو أمر كان يجب أن يفطن إلى صحته لو تصور أنهم جاوزوا خط الاستواء.

وليس من شك فى أن تاريخ هيرودوت يدعو أحيانا إلى النقد الشديد، فأكثـر ما اعتمده كان ما سمعه من قوم ليس لهم علم راسـخ بما يفتون. ولكـن لا جناح على المـؤرخ فى ذلك فقد لجأ إلى هـؤلاء عندما أعوزته المصادر المكتوبة أو المنقوشـة. ولكنا نعيب عليه بحق أنه لا يعبأ أحيانا بتسجيل مرجعه حينما يكون اعتماده على مصدر مكتوب أو منقوش.

## (ب) هيرودوت فى مصر

قـال هيرودوت فى كتابه الثالـث (١٣٥): «لقد دخل الكثيرون من اليونانيين مصر مع جيش قمبيز – لما غزا مصر سـنة ٥٢٥ ق.م – جاء بعضهـم بغية التجارة، وجاء البعض الآخر جنديا مرتزقا، وجاء آخرون لمشاهدة البلاد».

وأغلب الظن أن هيرودوت جاء مصر «لمشاهدة البلاد».

وكانت زيارته فى عهد الملك ارتا كزرسيس الأول (٤٦٤ ق.م – ٤٢٤ق.م).

وحيث أن هيرودوت كان فى أثينا عام ٤٤٥ ق. م فإن رحلته إلى مصر كانت قبل ذلك التاريخ حتما. وحيث أن هيرودوت يقرر فى كتابه الثالث (١٢) أنه رأى هياكل القتلى من المصريين والفرس فى بابريميس وهذه الموقعة لم تنشب إلا فى عام ٤٤٩ ق.م. وحيث أن اليونانيين قد اشتركوا فى الثورة المصرية تحت قيادة إناروس ضد الفرس، وليس من المعقول أن يجىء هيرودوت إلى مصر وقت اشتعال هذه الثورة، وحيث أن هذه الثورة لم تخمد إلا فى عام ٤٤٨ ق. م. فقد جاء هيرودوت مصر فيما بين سنة ٤٤٨ وسنة ٤٤٥ ق. م.

فماذا كان موقف المصريين من هؤلاء اليونانيين؟

كان موقفهم أول الأمر عدائيا يتجاهلونهم ويزدرونهم ولا يتصلون بهم، ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرين فاضطرت إلى استخدام الجنود المرتزقة من اليونانيين. فكان موقف المصرى منهم موقف المضطر إلى العون الذى لابد منه لمواجهة صعاب الحرب ومضانكها. فكان المصرى يخفى خجله من تفوق الجندى اليونانى عليه بالاستعلاء والعزوف، وباضطراره اليونانى إلى التسليم بفضل الحضارة المصرية وامتيازها، ثم تبدى الخطر الفارسى يهدد كلا الحضارتين المصرية واليونانية، ويكاد يودى بهما جميعا. فجمع الخطر المشترك بين المصريين واليونانيين واضطرهم إلى التفاهم والتعاون.

وإذن فقد كان المصرى على الرغم من كرهه لليونانى وعزوفه عنه واعتباره نجسا، يتلطف معه ويؤاخيه. وهكذا تأتى لهيرودوت أن يستمع لبعض الكهنة والتراجمة.

ومكث هيرودوت فى مصر حوالى ثلاثة أشهر ونصف، كانت من أغسطس إلى نوفمبر على الأرجح. فقد كان فى مصر فى زمن الفيضان (٩٧). نزل بمصر فى كوم سمعدى شمال شرق الإسكندرية وذهب منها إلى كوم جيف بالقرب من نقراش ومنها إلى ميت رهينة، ومن هنا قام برحلة قصيرة إلى المطرية، ثم ركب النيل إلى أسوان ونزل فى الأشمونين والأقصر، وفى طريقه راجعا زار منخفض الفيوم وبحيرة قارون، ثم رجع إلى ميت رهينة وقام بجولة فى وسط الدلتا وشرقها.

ولقد ذكر هيرودوت ثمانية عشر إقليما من أقاليم مصر أو مديرياتها، واحد منها فقط فى الوجه القبلى، وذكر من المدن المصرية أربعا وأربعين مدينة ثمان منها فحسب فى الوجه القبلى. ولم يصف مقابر الملوك ولا تمثالى ممنون، فأغلب الظن إذن أن رحلته إلى الوجه القبلى كانت عابرة خاطفة، أو لعل المؤرخ هيكاتيوس قد أفاض فى وصف هذه الروائع المعمارية بما لم يدع لهيرودوت مجالا للحديث عنها. ولكن هذا لا يكفى لتعليل صمته.

الظاهر أن الرحالة القديم كان يخاف أن يرحل ومعه مال كثير. فكان اليونانى يضطر إلى الاختلاف إلى المراكز التجارية اليونانية التى يستطيع أن يكون له فيها حساب جار، يقترض منها ما يعيش عليه، ويسدد دينه

حينمـا يؤوب إلى مركز ترحاله. ومن المحقق أن هيرودوت لم يعرف اللغة المصرية، وفى هذا ما يفسر تفضيله الإقامة فى الدلتا حيث يكثر اليونانيون.

ولم يكـن لهيرودوت أن يعتمد على الفرس فى تسـهيل أمر الرحلة ومقابلـة من يريد من الحـكام أو الكهنة، فقـد كان الفرس ينظرون إلى اليونانيين يومئذ بعين الريبة والتوجس لأنهم عضدوا الثورة التى قام بها المصريون فى وجه الفرس، بل إنه من الجلى أن هيرودوت كان يتجنب الأوسـاط الحكوميـة فهو لم يعلم أن اللغة فـى الدواوين كانت حينذاك اللغـة الأرامية. فإذا لم يكن هيرودوت عالما باللغة المصرية ولا حاول أن يتعلمها. فكيف استقى معلوماته من الكهنة؟.

كان المترجمون عونه على ذلك لاشـك. ولقد أعجب بحسن تعبيرهم باللغـة اليونانيـة، مما حـدا به إلى الإطناب فى الحديث عن نشـأتهم (١٥٤). ولعل هؤلاء المترجمـين كانوا مثل خلفائهم من التراجمة ولعين بالأغراب والمبالغة معتمدين على جهل الأجانب بلغة النقوش واستعدادهم للتصديق لفرط إعجابهم بالآثار. أم لعل القوم كانوا قليلى العلم، حسنى النيـة أدلوا بما وصل إليه عملهم. وإذن فهـيرودوت قد حفظ لنا تاريخ مصـر كما كان يتصـوره أبناؤها فى القرن الخامس ق. م فأبان بذلك عن حالة البلاد الفكرية فى تلك الفترة.

ويقـرر هيرودوت فى مواضع متعددة أن سـنده فيما يروى من أخبار هـو كهنة منـف. وأغلب الظن أنه لم يتصل بكبـار الأحبار وفقهائهم، بـل كان اتصاله بالكتاب والمسـجلين فى المعابـد (٢٨). ولم يكن هؤلاء

علـى علم غزير، ولعلهم كانوا قادرين على قراءة النقوش الهيروغليفية، ولكنهم لم يجشموا أنفسـهم مشقة الجمع والترجمة. فأتحفوا المؤرخ بما فاضت به عقولهم من روايات وقصص مرتجلة لا تستند إلى أساس – من التاريخ– قويم.

□□□

وإن هذه القصص لتنقسـم إلى أقسام ثلاثة: قسم منشؤه الآثار نفسها وما عليها من رسوم يحاولون تعليلها دون الاعتماد على النقوش، ومثلنا فى ذلك قصة الملك سـيثوس (١٤١) وقصة نجاة سيسوستريس (١٠٧). وقسـم منشـؤه قصص أدبية عزيت حوادثها لملوك متقدمين، ومثلنا فى ذلك قصة كنز رامبسـينيتوس (١٢١) وغزوات سيسوسـتريس (١٠٢ وما بعدها). وقسـم ثالـث كان النقاد فيما مضى يضربـون به عرض الأفق، ويعتبرونه من سقط المتاع ولكن النقد الحديث يرى فى هذه القصص غير هذا الرأى، ويعتبرها صدى دين قديم سابق لدين رع وأوزيريس.

كان الكاهن فى هذا الدين ملكا يبسـط سـلطانه على الدولة بما أوتى من قوة السـحر فهو الـذى يحيى الأرض ويمدها بالمـاء، ويدفع غائلة الفيضان. فإذا قال هيرودوت (١١١) إن فيروس ألقى بسـهمه فى صدر التيـار الدافق فهو يحكى صدى محاولة الملـك الكاهن فى صد الفيضان وكبح جماحه، وإذا تحدث بشـكوى منقرع من القدر (١٣٣) فهى قصة الملـك الكاهن الذى كان عليه أن يقضى على حياته فى عنفوانها ليضمن انتقـال القـوة والبأس إلى خلفه، وإذا اغتصب أحـد الملك كان عليه أن

يقضى على الجالس على العرش حتى تنتقل إليه قوته السحرية، وهذا ما يرويه هيرودوت فى حديثه عن سيسوستريس (١٠٧).

ولقد زل هيرودوت زلته الكبرى إذ اعتبر عصر بناة الأهرام تاليا لعصر الدولة الحديثة، فهو يتحدث عن خوفو وخفرع ومنقرع بعد حديثه عن (رمسيس). ولعل مصدر هذا الخلط هو تشابه آثار الأسرة السادسة والعشرين وآثار الأسرة الرابعة، فقد كان عصر الأسرة السادسة والعشرين عصر إحياء ونهضة.

ولننتقل الآن إلى الناحية الجغرافية من كتاب هيرودوت، وهى أضعف جانب فيه. كان هيرودوت يؤمن بأن الأرض تنقسم إلى قارات ثلاث، أوروبا وآسيا وليبيا (أفريقيا). ولكنه جعل وادى النيل جزءا من آسيا. وهو يصف امتداد مصر على ساحل البحر المتوسط فيقول (٦) إن طولها من خليج العرب إلى بحيرة بردويل حوالى ٦٦٧كم، مع أن المسافة من طرف بحيرة مريوط الغربى – المقابل لخليج العرب – وبين رأس الكأس الذى يعتبره هيرودوت (١٥٨) حد مصر من الشرق هى ٤١٥كم فحسب.

ويتحدث هيرودوت عن البحر الأحمر فيسميه، أحيانا خليج العرب، وأحيانا البحر الأحمر، ويظهر أنه لم يعلم بوجود خليج العقبة، ولم يدر أن ما نسميه الآن بخليج السويس ليس إلا خليجا من البحر الأحمر. فهو لم يتصور أن البحر الأحمر قد يكون فى أى جزء من أجزائه أعرض من خليج السويس (١١) وليس عليه فى ذلك من عيب فقد كان الرحالة القدماء يسيرون بمحاذاة الساحل الأفريقى دائما.

ويبالغ هيرودوت أحيانا فى تقدير المسافات فهو يقرر (٩) أن المسافة من المطرية إلى الأقصر بالنهر هى ٩٠٠كم، وهى فى الحقيقة ٧٢٩كم، وأن المسافة من الأقصر إلى الفنتين هى ٣٣٣كم وهى فى الواقع ٢١٧كم. وهو يقارب الحقيقة أحيانا. فهو يقرر (٧) أن المسافة من البحر إلى المطرية هى ٢٨٧كم، وهى فى الحقيقة – على طول فرع رشيد – ٢٥٩كم.

ويجب أن نقرر أن كل الأبعاد التى يذكرها هيرودوت هى أبعاد تقديرية، ولذلك كانت كل أعداده كاملة ليس فيها كسور.

□□□

شاء هيرودوت أن يكون كتابه الثانى نصفين، يقصر النصف الأول منه على مشاهداته الخاصة وآرائه الشخصية، ويفرد النصف الثانى لما يلقى إليه من أخبار، وشاء أن ينتهى النصف الأول عند آخر الفصل الثامن والتسعين. ولكنه لم يتقيد بذلك التقسيم كثيرا فى كتابه فقد اختلطت المشاهدة بالسماع، وجاء كتابه وحدة متماسكة منسجمة. وليس الكتاب الثانى مع كل ذلك وحدة قائمة برأسها، بل هو جزء من تاريخه الطويل ليس له مقدمة ولا هو ينتهى تماما عند نهاية الجزء الثانى، ففى الكتاب الثالث فصول كانت جديرة بأن تلحق بالكتاب الثانى.

□□□

وبعد، فلقد ظل هذا الكتاب الثانى العمدة الكبرى للمشتغلين بتاريخ مصر من القرن الخامس ق. م إلى أن وفق علماء الآثار إلى حل رموز اللغة المصرية، ونهض علم الآثار وعلم الحفريات ففندا الكثير مما ذهب إليه

هـيرودوت ولكن الكتاب لا يـزال محتفظا بقيمته التاريخية، فهو عمدة الأثرى فى دراسـة تاريخ مصر من الأسـرة السادسة والعشرين إلى القرن الخامس ق. م. فإن آثار هذا العهد لم تر النور بعد على يد علماء الآثار. وهـو صـورة لمصر صادقة فى منتصف القرن الخامس ق. م. وهو فوق كل ذلك أثر أدبى فنى يبقى على وجه الزمان.

□□□

# الكتاب الثانى

## يوتربى
ربة الشعر الغنائى

# منهج الترجمة

للنص عندنا حرمة لم تبح لنا التصرف فى ترجمته. ولذلك فقد جاءت الترجمة أقرب ما تكون إلى صورة النص الأصلية، تبرز خصائص اللغة اليونانية فى التراكيب والتعبيرات، وتبين عن أسلوب هيرودوت فى الحكاية والوصف، ولقد أبقينا على أسماءِ البلاد كما ذكرها، وأثبتنا فى لحق خاص ما يقابلها فى العصر الحديث، وكذلك الأمر فى الموازين والمكاييل والأطوال.

# الكتاب الثانى

١ بعد موت قورش[١] تولى الملك قمبيز، وهو ابن قورش وكاسندانى ابنة فارناسييس، وقد حزن عليها قورش نفسه لما ماتت قبله حزنا عظيما، وأمر كل أتباعه أن يحدّوا عليها كذلك. أما قمبيز وهو ابن هذه المرأة وقورش، فقد نظر إلى الأيونيين والأيوليين كأنهم رقيق موروث، ولما قام بحملته على مصر، أخذ معه - بالإضافة إلى آخرين من رعيته - اليونانيين الذين كانوا تحت سلطانه.

٢ ولقد كان المصريون قبل أن يتولى بسماتيك[٢] الملك فيهم، يظنون أنفسهم أعرق الناس قدما، ولكن لما تولى بسماتيك الملك أراد أن يعرف أى الشعوب أقدم. ومنذ ذلك الحين أخذ المصريون يعتقدون أن الفريجيين[٣] خلقوا قبلهم وأنهم هم أنفسهم خلقوا قبل سائر الشعوب الأخرى، ولما لم يكن بسماتيك قادرا على الوقوف على طريقة ما لاستقصاء أى الشعوب أقدم، فقد اهتدى إلى التجربة الآتية: أعطى طفلين حديثى المولد من العامة إلى راعٍ ليأخذهما ويربيهما بين ماشيته على النحو الآتى: أمر الراعى ألا يُخرج أحدٌ أى صوت فى حضورهما، وأن يناما وحدهما فى غرفة منعزلة. وأن يسوق إليهما فى الأوقات المناسبة معزى، وبعد أن

(١) هو منشئ الإمبراطورية الفارسية، توفى سنة ٥٢٩ ق.م وتولى الملك بعده ابنه قمبيز الذى غزا مصر سنة ٥٢٥ ق.م.

(٢) هو مؤسس الأسرة السادسة والعشرين فى سايس بعد طرد الأحباش بمساعدة الجنود المرتزقة من الأيونيين والكاريين سنة ٦٦٤ ق.م تقريبا.

(٣) سكان المنطقة الوسطى من آسيا الصغرى.

يرتويا لبنا يقوم بسائر حاجاتهما. ولقد انتهج بسماتيك هذا النهج وأدلى بهذه الأوامر لأنه أراد أن يسمع أى الأصوات يخرجها الطفلان أولا بعد أن يقلعا عن ثغائهما الذى لا يبين، وهذا ما حدث فعلا. فبعد أن ظل الراعى على هذا النهج مدة عامين، حدث أنه عندما فتح الباب ودخل ارتمى الطفلان كلاهما على قدميه وصاحا «بِكُسْ»[1] وقد مدّا أيديهما. لما سمع الراعى ذلك، لم يحرك ساكنا أول الأمر، ولكن عندما تكررت الكلمة كثيرا كلما زارهما أو عنى بهما، أخبر سيده بالأمر وجاء بالطفلين – بحسب أمره – إلى حضرته. وبعد أن سمعهما بسماتيك بنفسه بدأ يبحث أى شعب يسمى شيئا بلفظة «بكس». وبالبحث علم أن الفريجيين يطلقونها على الخبز. وهكذا اعترف المصريون – على هدى هذه التجربة – أن الفريجيين أقدم منهم. ولقد سمعت أن الأمر حدث كما ذكرت من كهنة هيفايستوس فى منف. ولكن اليونانيين يقولون قصصا مأفونة أخرى كثيرة منها أن بسماتيك قطع ألسنة نساء وجعل الطفلين يربيان عند أولئك النسوة.

٣ هذا ما يقولونه بشأن تربية الطفلين. وقد سمعت قصصا أخرى فى منف عندما ذهبت إليها لمحادثة كهنة هيفايستوس. وعلاوة على ذلك فقد يممت شطر طيبة[2] وهليوبوليس لهذا الغرض نفسه، فقد أردت أن أستوثق عما إذا كانت روايات كهنتها تتفق مع روايات كهنة منف.

(١) الكلمة تعنى «الخبز».

(٢) هى مدينة الأقصر عاصمة مصر فى عهد الدولة الحديثة. ظن اليونانيون أن اسمها «طايت» يقابل اسم طيبة عاصمة بيوشيا عندهم. فأطلقوه عليها. وكان اسمها الأكثر شيوعا فى مصر هو «نو» أى المدينة. وقد ورد هذا فى العهد القديم إرميا ٤٦: ٢٥.

ذلك أنه يقال إن كهنة هيلوبوليس أفقه المصريين فى العلم. أما ما سمعت من قصص الآلهة فلست حريصا على أن أثبت منها إلا أسماء الآلهة فحسب، فإنى أعتقد أن الناس أجمعين يعلمون عن الآلهة قدرا متساويا، أما ما عساى أن أذكره عنها فإنى مضطر إلى ذكره بسياق التاريخ.

أما عن المسائل الإنسانية فالكهنة يتفقون فيما بينهم فى قولهم إن المصريين كانوا أول من عرف السنة الشمسية وأنهم جعلوها مؤلفة من اثنى عشر قسما من الفصول، ويقولون إنهم اكتشفوا هذه الأشياء بملاحظة النجوم. وهم فى تقويمهم هذا أدق من اليونانيين فيما أرى، إذ أن اليونانيين يضيفون إلى كل سنتين شهرا نسيئا حتى تستقيم الفصول. أما المصريون فيحسبون اثنى عشر شهرا مؤلفا من ثلاثين يوما ويضيفون إلى هذا العدد خمسة أيام كل سنة، وهكذا تتم دورة الفصول عند نقطة ابتداء التقويم.

ويقول الكهنة أيضا إن المصريين كانوا أول من سمَّى الآلهة الاثنى عشر بألقابها، وأن اليونانيين أخذوا ذلك عنهم، وأن المصريين أول من وقف للآلهة الهياكل والتماثيل والمعابد، وأول من حفر صور الآلهة على الأحجار. وقد بينوا لى أن أكثر هذه الدعاوى كان فى الواقع كما ذكروا.

وقالوا كذلك إن مينا كان أول ملك لمصر من البشر، وإن مصر فى عهده كانت كلها – فيما عدا مقاطعة طيبة – مستنقعا، فى حين لم تكن واحدة من البقاع التى تقع الآن شمالى بحيرة مويريس[1] (وهى من البحر على مسافة سبعة أيام تصعيدا فى النهر) بارزة فوق الماء.

(١) هى بحيرة قارون الآن.

٥ ويبـدو لى أنهم مصيبون فيمـا يقررون من طبيعة البلاد، لأنه من الواضح لمن لم يسـتمع إلى أقوالهم بل رأى البلاد رأى العين فحسـب، وكان ذا فطنـة، أن مصـر التى يبحر إليها اليونانيون بسـفنهم، أرض اكتسبها المصريون وأنها هدية من النهر[١]. هذا إلى أن الإقليم الواقع على مسافة رحلة ثلاثة أيام مما يلى البحيرة ينطبق عليه أيضا هذا الوصف، ولـو أن هؤلاء الكهنة لم يقولوا عنه شـيئا كهـذا. وذلك أن طبيعة أرض مصـر كما يأتى: إذا كنت مبحرا إليهـا أول مرة ولازلت على بُعد رحلة يوم من اليابسـة، وأدليت المسبار فستخرج طميا وستكون على بُعد أحد عشر باعا، وهذا يوضح أن الطبقة الطميية تمتد إلى هذا الحد.

٦ وامتداد مصر على ساحل البحر ستون سخينوسا بحسب تحديدنا لمصر من خليج بلينثوس إلى بحيرة سربونيس[٢] التى يمتد تل كاسيوس[٣] بجانبها، والستون سخينوسا تبدأ من هذه البحيرة. والذين يملكون أراضى صغيرة يمسـحونها بالباع، وأصحاب الأراضى الأكبر منها يمسـحونها بالسـتاد، وأصحاب الأراضى الواسعة يمسـحونها بالفرسخ، وأصحاب الأراضى الواسـعة جدا يمسحونها بالسخينوس، والفرسخ يعادل ثلاثين ستادا، والسخينوس – وهو مقياس مصرى – يعادل ستين ستادا، وإذن يكون امتداد مصر على ساحل البحر ٣٦٠٠ ستاد.

(١) هذا التعبير اقتبسه هيرودوت من هيكاتيوس.
(٢) هى بحيرة بردويل الآن. سميت كذلك باسم بلدوين ملك أورشليم المتوفى سنة١١١٨م.
(٣) يبعد أربعين ميلا عن مدينة بيلوزيوم وهو الآن رأس الكأس أو القسروم.

٧ ومصر فى الداخل من الشاطئ إلى مدينة هليوبوليس واسعة، وكلها منبسطة وغاصة بالماء وموحّلة. والمسافة من البحر إلى مدينة هليوبوليس تكاد تساوى فى الطول الطريق المؤدية من هيكل الآلهة الاثنى عشر فى أثينا إلى معبد زيوس الأوليمبى فى بيزا. فإذا حسب المرء المسافة لوجد الفرق بين هذين الطريقين ضئيلا جدا، حتى إنهما ليكادان يتساويان، إذ الفرق لا يزيد على خمسة عشر ستادا، فالمسافة من أثينا إلى بيزا تقل بمقدار خمسة عشر ستادا عن ١٥٠٠ ستاد فى حين أن المسافة من البحر إلى مدينة هليوبوليس تبلغ ذلك الرقم.

٨ ومصر ضيقة ابتداء من مدينة هليوبوليس حتى الجنوب، وفى ناحية بلاد العرب تقوم سلسلة جبال من الشمال إلى الجنوب والجنوب الغربى وتمتد مرتفعة فى اطراد إلى البحر المسمى بالبحر الأحمر. وفى هذه السلسلة توجد مقالع الأحجار التى هيئت من أجل الأهرام التى توجد بالقرب من منف، وهنا تبلغ الجبال نهاية امتدادها وتنحنى صوب الجهات التى ذكرتها. والمسافة من الشرق إلى الغرب عبر هذه الجبال حينما تبلغ أقصى اتساعها مسيرة شهرين كما علمت، وحدودها الشرقية مصدر للبخور. هذه إذن طبيعة هذه الجبال. هذا وتوجد سلسلة أخرى من الجبال الصخرية على الجانب الليبى من مصر، وتقع فيها الأهرام. وهذه السلسلة مغطاة بالرمال، وهى تمتد فى نفس اتجاه ذلك الجزء من سلسلة الجبال العربية الذى يمتد إلى الجنوب.

وإذن فالبلاد بعد هليوبوليس لم تعد شديدة الاتساع بالنسبة إلى أنها جزء من مصر. بل إن الأراضى المصرية البحتة تكون إلى مرحلة أربعة

عشر يوما فى الداخل ضيقة، والأرض الواقعة بين سلسلتى الجبال التى ذكرتها سهل، لا يزيد اتساعه بحال فى أضيق جزء منه فيما يبدو لى، على مائتى ستاد، فيما بين سلسلة الجبال العربية وسلسلة الجبال الليبية كما يسمونها، وبعد ذلك تكون مصر متسعة من جديد.

٩ هذه إذن هى طبيعة البلاد. ومن هليوبوليس إلى طيبة إبحار تسعة أيام تصعيدا فى النهر، وهى مسافة ٤٨٦٠ ستادا، لأنها مسافة ٨٠ سخينوسا، هذه إذن أبعاد مصر موضوعة بعضها بجانب بعض.

ولقد أوضحت فيما سلف أن طول ساحل البحر ٣٦٠٠ ستاد، وسأبين الآن البُعد من البحر إلى مدينة طيبة فى الداخل، فهو مقدار ٦١٢٠ ستادا أما المسافة من طيبة إلى المدينة المسمّاة مدينة الفيل فهى ١٨٠٠ ستاد.

١٠ والجزء الأكبر من هذه البلاد التى تحدثت عنها هو – كما قال الكهنة، وكما أعتقد شخصيا – كسب للمصريين، فقد بدا لى أنه من الجلى أن السهل الواقع بين سلاسل الجبال التى تحدثت عنها مما يلى مدينة منف كان فيما مضى خليجا فى البحر، شأنه فى ذلك شأن البقاع الواقعة حول طروادة وتيوثرانيا وإفسوس وسهل ميياندروس. هذا إذا جاز أن نقارن صغير الأمور بكبيرها، إذ لا يمكن أن يقارن واحد من هذه الأنهار التى كونت هذه البلاد بطميها بفرع واحد من فروع النيل من حيث الجزم، وفروع النيل خمسة. وهناك أنهار أخرى أيضا لا تقارن بالنيل فى الحجم وقد كان لها تأثير عظيم، ويمكننى أن أسمى منها أنهارا كثيرة ولكن أهمها هو نهر أخيلوؤس[1] الذى يجرى فى أكارنانيا ويصب فى البحر، وقد أحال نصف جزائر أخينياديس فعلا برا.

(١) أكبر أنهار بلاد اليونان، ويفصل كارنانيا عن أيطوليا.

٥٥ وفـى بلاد العرب، غير بعيد من مصر، يوجد خليج يتوغل فى الداخل من البحر الذى يسمى بالبحر الأحمر[١] وهو طويل وضيق جدا كما سأبين بالوصف. فمن يبدأ برأس الخليج ويمضى قدما فى عرض البحر يستغرق أربعين يوما فى عبوره طولا مستخدما المجاذيف، فى حين أن اجتيازه عرضا يستغرق إبحار نصف يوم فى أوسع جزء من الخليج. ويحدث فيه مدّ وجزر كل يوم، ويخيَّل إلى أن مصر نفسها كانت فيما مضى خليجا آخر مثل هذا، وأن أحدهما كان يمتد من البحر الشمالى صوب الحبشة[٢]، فى حين أن الآخر يمتد من البحر الجنوبى صوب سورية. وإن رأسيهما ليكادان يتقابلان الواحد بالآخر، لا يفصلهما إلا رقعة ضيقة من الأرض. فإذا عنّ للنهر أن يوجه مجراه نحو الخليج العربى فماذا يمنع هذا من أن ييبس بتأثير النهر فى عشرين ألف عام؟ إنى شخصيا أعتقد أنه لو حدث ذلك ليبس الخليج فى عشرة آلاف عام. فكيف إذن لا ييبس خليج أكبر من هذا بكثير بتأثير نهر على هذه الضخامة وعلى هذا الدأب فى كل الزمان الذى انقضى قبل أن أولد؟

٥٦ وإنى لا أصدق ما قيل عن مصر فحسب، بل إنى شخصيا شديد الاعتقاد بأن ذلك ما حدث فعلا. فقد لاحظت أن مصر تمتد داخل البحر أكثر من الأراضى المتاخمة لها، وأن أصداف البحر توجد على الجبال، وأن طبقة ملحية تتكون على سطح الأرض حتى أن الأهرام نفسها تتآكل

(١) البحر الأحمر عند اليونانيين الأقدمين يعنى البحر الأحمر الحالى والمحيط الهندى والخليج الفارسى، والتسمية فى الأصل مصرية، نسبة إلى لون الرمال فى الغالب..

(٢) الحبشة عند اليونانيين الأقدمين تعنى كل ما يلى مصر جنوبا ابتداء من الشلالات. وتشمل الصومال وأريتريا.

بفعلهـا، وأن سلسـلة الجبال الوحيدة فى مصر التـى تغطيها الرمال هى تلك التى تقع فوق منف. ولاحظت علاوة على ذلك أن مصر لا تشبه بلاد العرب التى تتصل بها، ولا ليبيا ولا سـورية أيضا، (السـوريون يسكنون الجزء الذى يلى البحر من بلاد العرب) بل إن تربتها سوداء مشققة؛ لأنها فى الحقيقة طمى متراكم، محمول من بلاد الحبشة بوساطة النهر، ونحن نعلم أن تربة ليبيا ضاربة إلى الحمرة ورملية بعض الشىء فيما يلى السطح، فى حين أن أرض بلاد العرب وسورية صلبة بعض الشىء وصخرية.

١٣ ولقـد حدثنـى الكهنة بالبرهان القوى التـالى على أن ذلك هو تكويـن تلك البـلاد، قائلين إن النهر فى عصر الملك مويريس كان يروى من مصر الجزء الذى يلى منف كلما بلغ ارتفاعه ثمانية أذرع فحسـب، ولم يكن قد مضى على موت مويريس هذا تسعمائة عام عندما سمعت أنا هـذه المعلومات من الكهنة. أما فـى الوقت الحاضر فإذا لم يرتفع النهر أربعة عشـر أو خمسة عشر ذراعا على الأقل لا يغمر البلاد. ويخيل إلى أنه إذا اسـتمرت الأرض فى الزيادة فى الارتفاع بهذه النسبة واستمرت كذلك فى الزيادة فى الاتسـاع، فسـوف يعانى المصريون الذين يعيشون فيما يلى بحيرة مويريس وخصوصا فى المنطقة التى تسـمى بالدلتا، إلى آخـر الزمان نفـس المصير الذى كانوا هم أنفسـهم يقولون إن اليونانيين سـيلاقونه يومـا من الأيام. ذلك أنهم عندما علمـوا أن كل بلاد اليونان ترويها الأمطار فحسب، ولا ترويها الأنهار كما هو الحال عندهم، قالوا إنه سوف يخيب أمل اليونانيين العظيم يوما ما ويجوعون جوعا شديدا. وهـذا يعنـى أنه إذا لم يشـأ الإله أن ينزل عليهم الغيث، بل شـاء أن

يهرأهم بالجفاف المتصل، فسوف يهلكون جوعا، فليس لهم من مصدر واحد آخر للماء إلا زيوس فحسب.

١٤ إن ما يقوله المصريون بشأن اليونانيين صحيح، ولكن دعنى أتحدث عن موقف المصريين أنفسهم إذا حدث، كما قلت آنفا، أن الأرض فيما يلى منف (وهى الأرض التى تزيد فى الارتفاع) زادت فى الارتفاع بنفس النسبة التى درجت عليها فى الماضى. فماذا عساه يحدث للمصريين الذين يسكنون هذه البقاع - إذ الأرض لا ترويها الأمطار، والنهر غير قادر على أن يفيض على الحقول - إلا أن يموتوا جوعا؟ هذا مع أنهم الآن يجنون محصولهم من الأرض بغاية اليسر بمجهود أقل مما تبذله الشعوب الأخرى بما فيهم سائر المصريين. فهم لا يجهدون فى شق الخطوط بالمحراث ولا فى تفتيت التربة ولا يقومون بأى عمل من الأعمال التى يشقى بها سائر الناس من أجل الغلة. بل إن النهر يفيض عندهم من تلقاء نفسه، ويروى الحقول ثم ينحسر ثانية بعد ريها، وعندئذ يبذر كل فرد حقله، ويطلق فيه الخنازير، لتدوس البذور فتغرسها ثم ينتظر الغلة ويخزنها بعد أن تدرس الحبوب بواسطة الخنازير.

١٥ والآن، فإذا أخذنا بآراء الأيونيين فيما يتعلق بمصر، وهم يذهبون إلى أن مصر هى الدلتا فحسب، وأن شاطئها يمتد من المرقب الذى يسمى باسم برسيوس إلى ملاحات الأسماك على الفرع البيلوزى وهى مسافة أربعين سخينوسا، وأنها تمتد من البحر فى الداخل حتى مدينة كركاسوروس[1] التى يتفرع النيل عندها إلى الفرعين البيلوزى

(١) تسمى الآن صيدية، ورأس الدلتا يقع الآن إلى الجنوب من هذا الموضع بمقدار ستة أميال. والكلمة مصرية تعنى «تمريق أوزيريس».

والكانوبى وأن بقية مصر بعضها ليبيا والبعض الآخر بلاد العرب. إذا أخذنا بهذا القول كان معناه أنه لم يكن للمصريين وطن من قبل. ذلك أن الدلتا كما سبق القول، طميية وحديثة التكوين فعلا فيما يقول المصريون أنفسهم وفيما أعتقد شخصيا. فإذا لم يكن لهم وطن من قبل على الإطلاق، فلماذا يجتهدون فى تبيان أنهم أقدم الشعوب؟ ولم تكن بهم حاجة إلى إجراء تجربة الطفلين لمعرفة أى اللغات يتكلمان أولا. ومهما يكن من شىء فإنى لا أعتقد أن المصريين نشأوا فى نفس الوقت الذى تكونت فيه الدلتا التى يسميها الأيونيون مصر، بل إنهم كانوا موجودين دائما منذ الوقت الذى وجد فيه الجنس الإنسانى، وأنه لما امتدت بلادهم تخلف الكثيرون منهم وانحدر الكثيرون تدريجيا إلى الأراضى الجديدة. وعلى كل حال ففى العصر القديم كانت طيبة تسمى مصر، ومحيط طيبة ٦١٢٠ ستادا.

٩٦ فإذا كانت آراؤنا فيما يتعلق بهذه المسائل صحيحة فالأيونيون غير مصيبين فيما يذهبون إليه بشأن مصر، أما إذا كان رأى الأيونيين هو الصحيح فإنى مبين أن اليونانيين والأيونيين أنفسهم لا يعرفون كيف يحسبون إذ يقولون إن الأرض كلها مقسمة إلى أقسام ثلاثة أوروبا وآسيا وليبيا، فعليهم حقا أن يضيفوا إلى حسابهم دلتا مصر كقسم رابع إذا لم تكن جزءا من آسيا ولا جزءا من ليبيا. والنيل، بحسب قولهم هذا، ليس هو الذى يفصل آسيا عن ليبيا، والنيل يتفرع عند رأس هذه الدلتا، فتكون إذن فى وسطه مشاعا بين آسيا وليبيا.

١٧ والآن وقد طرحنا رأى الأيونيين جانبا فلندلى نحن بما نرى من أن مصر هى كل البلاد التى يسكنها المصريون، كما أن كيليكية[1] هى البلاد التى يسكنها الكيليكيون، وآشور هى البلاد التى يسكنها الآشوريون أما عن الحد الفاصل بين آسيا وليبيا فلا نعرف حدا بالمعنى الحرفى إلا مصر. فإذا أخذنا بالرأى السائد عند اليونانيين فسوف نذهب إلى أن مصر كلها مبتدئة من الشلال ومدينة الفنتين مقسمة إلى قسمين، ولها الحق فى الأسمين كليهما. فجانب منها جزء من ليبيا والجانب الآخر جزء من آسيا. لأنه من الواضح أن النيل مبتدئا من الشلال يشطر مصر فى مجراه إلى البحر. والنيل ينساب فى مجرى واحد حتى مدينة كركاسوروس ومن هذه المدينة يتفرع إلى مجارٍ ثلاثة. أحدها ويسمى الفرع البيلوزى ينحرف صوب الشرق، وأحد هذه المجارى ينحرف صوب الغرب ويسمى هذا الفرع الكانوبى، أما الفرع المستقيم من مجارى النيل فينساب على النحو الآتى: عندما يصل النهر فى جريانه، قدما إلى رأس الدلتا يشطرها فى الوسط ويصب فى البحر. وكمية الماء الذى يأتى به هذا الفرع أكبرها قدرا وأبعدها شهرة. ويسمى هذا الفرع بالفرع السبنيتى وهناك فرعان آخران ينشقان على الفرع السبنيثى ويجريان إلى البحر واسم أحدهما الفرع السايسى والآخر الفرع المنديسى، أما الفرع البولبيثى والفرع البوكولى فليسا طبيعيين بل صناعيين.

١٨ وتشهد لى بصحة الرأى فيما ذهبت إليه فى كلامى من أن مصر على هذا الامتداد، إجابة وحى آمون التى لم أعلم أنها بها

(١) فى الجنوب الشرقى من آسيا الصغرى.

إلا بعد أن كنت قد كوَّنت رأيي عن مصر: كان أهل مدينتى ماريا وآبيس الذين يسكنون الأجزاء المتاخمة لليبيا من مصر يرون أنهم ليبيون وليسوا مصريين، وأحنقتهم الطقوس الدينية التى تحرّم عليهم أكل لحوم الأبقار، فأرسلوا إلى آمون زاعمين أن ليس هناك شيء يجمع بينهم وبين المصريين حيث إنهم يسكنون خارج الدلتا ولا يتفقون معهم فى شيء وأرادوا أن يحلل لهم أكل كل طعام، ولكن الإله منعهم من ذلك قائلا «إن مصر هى الأرض التى يجرى فيها النيل ويرويها، وإن المصريين هم الذين يسكنون البلاد مما يلى مدينة الفنتين، ويشربون من ماء النيل». هكذا أجابهم الوحى.

١٩ وعندما يفيض النيل لا يغمر الدلتا وحدها، بل يغمر كذلك ما يسمى بالبلاد الليبية وبلاد العرب إلى مدى مسيرة يومين من كلا الجانبين ويزيد أحيانا عن ذلك، وأحيانا يقل. ولم أستطع أن أستقى معلومات عن طبيعة النهر من الكهنة ولا من أحد غيرهم، ولقد كنت شديد الحرص على أن أعرف منهم لماذا يأتى النهر فى فيضان مدة مائة يوم مبتدئا من الانقلاب الصيفى حتى إذا بلغ هذا القدر من الأيام يفيض ماؤه، وينحسر ثانية، ويظل غائضا طوال الشتاء إلى أن يحين الانقلاب الصيفى ثانية. لم أستطع أن أستقى من المصريين معلومات بشأن مسألة واحدة من هذه المسائل حينما سألتهم عن خاصية النيل التى خالفت بها طبيعته سائر الأنهار. لقد أردت أن أعرف ما يقولون بشأن هذه المسائل، ولماذا كان النيل النهر الوحيد دون سائر الأنهار الذى لا يثير رياحا على سطحه.

٣٠ ولكن بعض اليونانيين وقد أرادوا أن يشتهروا بالحكمة، ذهبوا فى تفسير ظاهرة مائة، ثلاثة مذاهب مختلفة، اثنان منها ليسا جديرين بأن أسجلهما لو لم أكن حريصا على أن أبين ماهيتهما فحسب. فأحدهما يقول إن الرياح الموسمية هى سبب فيضان النيل، لأنها تمنع النهر من أن يصب فى البحر. ولكن كثيرا ما تكون الرياح الموسمية ساكنة ويظل النيل يعمل عمله، هذا إلى أنه إذا كانت الرياح الموسمية هى السبب لوجب أن تتعرض سائر الأنهار التى تجرى فى اتجاه مضاد للرياح الموسمية لنفس الظاهرة التى يتعرض لها النيل، بل تكون أكثر منه تأثرا بها بالنسبة إلى أنها أصغر منه فتيارها أضعف. ولكن هناك أنهار كثيرة فى سورية وأنهار كثيرة فى ليبيا لا تتعرض لمثل تلك الظاهرة التى يتعرض لها النيل.

٣١ والمذهب الثانى أشد من الذى ذكرناه إغراقا فى الجهل ولكنه أشد منه إثارة للعجب. فهو يقول إن النهر يفيض من المحيط ويأتى بتلك الظواهر، أما المحيط فيفيض حول الأرض كلها.

٣٢ أما المذهب الثالث فأقر بها جميعا بكثير إلى التصديق ومع ذلك فهو على التحقيق أكذبها إذ لا طائل البتة تحت ما يذهب إليه من أن النيل يفيض من الثلوج الذائبة فى حين أنه ينساب من ليبيا مخترقا وسط الحبشة ويفيض فى مصر. فكيف يفيض من الثلوج إذا كان يجرى من بلاد شديدة الحرارة إلى بلاد أبرد منها نوعا بوجه عام؟ وأول دليل وأقواه – لمن يستطيع أن يعمل الفكر فى هذه المسائل – على أنه من

غـير المعقول أن يفيض النهر من الثلـوج، أن الرياح التى تهب من هذه البـلاد تأتـى حارة، والدليل الثانى أن البلاد غـير ممطرة ولا بَردَ فيها طول العام، مع أنه بعد سـقوط الثلج تهطل الأمطار بالضرورة فى ظرف خمسة أيام. وعلى ذلك فإذا كانت هناك ثلوج كانت هناك أمطار فى تلك الأصقاع. أما الدليل الثالث فهو سكان البلاد إذ أنهم سود بتأثير حرارة الشمس المحرقة. هذا إلى جانب أن الحداءات والسنونة لا تختفى منها طوال السنة فى حين أن الكراكى تهرب من الجو البارد الذى تتعرض له فى إقليم سكيثيه وترحل دائما إلى هذه الجهات لتمضية الشتاء.

وإذن فإذا كانت الثلوج تسـقط ولو بقـدر ضئيل جدا فى تلك البلاد التى ينساب منها النيل ويبدأ منها فى فيضانه، ما حدث شيء من هذا كما تقضى الضرورة المنطقية.

٢٣ أما من يعلل الفيضان بنظرية المحيط فيأتى بأسـاطير مبهمة لا تنطوى على برهان. وأنا شخصيا لست متيقنا أن نهر الأوقيانوس موجود فعلا. ويخيل إلى أن هومروس أو أحد الشـعراء الذين سـبقوه اخترع هذا الاسم وأدخله فى الشعر.

٢٤ والآن فـإذا كان من الواجب علـى بعد أن دحضت الآراء التى قدمتها أن أبين رأيى فى هذه الأمور المبهمة فإنى سأبين لماذا يفيض النيل فى الصيف فى رأيى ففى فصل الشـتاء تندفع الشـمس بفعل الأعاصير من مدارها المعتاد وتذهب إلى أجواز ليبيا العليا. وهذا هو تعليلى بأكمله مبينا فى اختصار شديد. إذ من الطبيعى أن تكون البلاد التى يكون هذا

الإله قريبا جدا إليها ومحلقا فوقها ناضبة الماء، وأن تكون جداول أرضها على الأخص غائضة دون سائر الأنهار.

٢٥ أما تعليلي مبينا بالتفصيل فهكذا: إن الشمس في مسيرها فوق الجهات العليا من ليبيا يكون تأثيرها على النحو الآتي: حيث أن الهواء يكون طوال السنة في تلك المناطق صافيا، والأرض ساخنة، وليس هناك من رياح باردة، فالشمس تؤثر كما اعتادت أن تؤثر وقت الصيف حينما تسير في وسط السماء، أي أنها تجذب المياه إليها وتدفع بها، بعد أن تجذبها، إلى المناطق العليا من البلاد، وهناك تستحوذ عليها الرياح وتفرقها وتبددها، ولذلك فالرياح التي تهب من هذه البلاد أي الجنوبية والجنوبية الغربية هي أغزر الرياح أمطارا بكثير. ولكن يبدو لي أن الشمس لا تتخلص من كل ماء النيل الذي تجذبه كل سنة بل تبقي بعضه بجوارها. وحينما يعتدل الشتاء، ترجع الشمس إلى وسط السماء ثانية، ومنذ ذلك الوقت تجتذب المياه من كل الأنهار على السواء، وفي هذه الأثناء تفيض هذه الأنهار بمياه غزيرة لكثرة مقادير الأمطار التي تختلط بها وذلك لهطول الأمطار في البلاد وامتلائها بالأخوار، أما في الصيف فتقل مياهها لأنها تفقد مورد الأمطار ولأن الشمس تمتص مياهها. وحيث أن النيل لا تغذيه الأمطار، والشمس في نفس الوقت تمتص مياهه، فقد ترتب على ذلك أن كان النيل النهر الوحيد الذي ينساب في هذا الفصل وقد قل ماؤه كثيرا عن مقداره الطبيعي أي أقل من مقداره في الصيف، ففي الصيف تجذب الشمس ماءه بالنسبة التي

تجـذب بها مياه سـائر الأنهـار. فى حين أنه يتعـرض لها وحده فى الشتاء، ولذلك فإنى أعتقد أن الشمس هى سبب هذه الظواهر.

٢٦ والشـمس، وهى تلفح الهواء فى خط سـيرها، هى أيضا – فى رأيى – السـبب فـى أن الجو فى هذه المناطق عديـم الرطوبة حتى أن الصيف حال باسـتمرار فـى المناطق العليا من ليبيـا. ولكن إذا تغيرت مواقـع الشـمس فى الفصـول وإذا أصبح جوز السـماء – الذى تقع فيه الآن الرياح الشمالية والشتاء – موقع الرياح الجنوبية والصيف فى حين تصبح الرياح الشـمالية واقعة حيث تقع الآن الرياح الجنوبية، فى هذه الحالة، كانت الشـمس – وقد أزاحها الشتاء والرياح الشمالية عن وسط السـماء – تزور المناطق العليا من أوروبا كما تزور الآن المناطق العليا من ليبيـا، وأعتقد أنها فى مسـيرها عبر أوروبا كلها كانـت تؤثر فى نهر الطونة نفس التأثير الذى تحدثه فى نهر النيل.

٢٧ أما عن مسـألة الرياح التى لا تهب على سطح النهر فرأيى أنه مـن غير الطبيعى أن يهب ريح ما من جهات شـديدة الحرارة. فالرياح عادة تهب من جهة باردة.

٢٨ والآن فلتبق هذه المسائل إذن كما هى وكما كانت منذ البدء. ولم يدع أحد من المصريين أو الليبيين أو اليونانيين الذين تحدثوا معى، أنه يعرف شيئا عن منابع النيل إلا مسجل الخزائن المقدسة لآثينة فى مدينة سـايس[1] فـى مصر. وقد بدا لى أن الرجل يهـزل حينما قال إنه يعرف الحقيقة على وجه الدقة. وقد تحدث بما يلى: فى الوسـط بين مدينتى

(١) كانت سايس عاصمة الأسرة السادسة والعشرين، ومركز عبادة الإلهة نيث.

سيين (أسوان) فى مقاطعة طيبة والفنتين يوجد تلان يرتفع رأساهما فى قلتين مدببتين واسم أحد هذين التلين «كروفى» والآخر «موفى»[1]. ومن بين هذين التلين تتفجر منابع النيل وهى ليست بذات قرار. وينحدر نصف الماء نحو مصر شمالا، والنصف الآخر نحو الحبشة جنوبا.وقال إن بسماتيك ملك مصر أثبت بالتجربة أن المنابع لا يسير لها غور، فقد جاء بحبل مجدول طوله ألف باع وأدلى به فى هذا المكان فلم يبلغ القاع. وهكذا بين هذا المسجل، فيما أظن، إذا كان ما قرره قد حدث فعلا، أنه توجد هناك دوامات قوية وتيارات مضادة بدرجة أن المسبار، وقد كانت المياه تدفعه إلى جوانب الجبل، لم يستطع حينما أدلى أن يبلغ القاع.

٢٩ ولم أستطع أن أقف على شىء من أحد غيره. ولكنى اكتسبت المعلومات الآتية بعد أن وصلت بأبحاثى إلى أبعد مدى، فزرت البلاد حتى مدينة الفنتين مشاهدا، واكتسبت معلوماتى عما وراء هذه المدينة بالسماع. فمن الفنتين تكون البلاد مرتفعة للواغل فيها صُعُدا حتى إنه ليتحتم ربط القارب من طرفيها كالثور قبل التقدم بها؛ فإذا انقطع الحبل ذهبت القارب محمولة بقوة التيار. وفى هذه المنطقة، وهى مرحلة أربعة أيام فى القارب، يكون النيل متعرجا مثل نهر النياندروس. والمساحة التى عليك أن تقطعها على هذا النحو هى اثنا عشر سخينوس. وبعدئذ تصل إلى سهل منبسط يدور النيل فيه حول جزيرة، واسم هذه الجزيرة تاخومبسو.[2] ويقطن الأحباش المنطقة التى تلى مدينة الفنتين مباشرة،

(١) الكلمتان مصريتان «كروفى» قد يكون معناها كهف النيل «وموفى» ماء النيل. والرأى الذى أدلى به المسجل قديم وقد ظل سائدا إلى أواخر العصر الرومانى.

(٢) لعلها جزيرة زرار جنوبى أسوان وتسمى فى اللغة المصرية «خمسة».

وهم يسكنون نصف الجزيرة ويسكن المصريون نصفها الثانى. وتتاخم هذه الجزيـرة بحيرة عظيمة يعيش حولها أحباش رحل، فإذا جزتها وصلت إلى مجـرى النيل الـذى يصب فى هذه البحيرة. وبعـد ذلك تهبط البر وتقطع مرحلة أربعين يوما بحذاء النهر. ذلك أنه توجد فى النيل صخور حادة وجنادل كثيرة لا تتيسـر بسـببها الملاحة فى النهر. فإذا اجتزت هـذه المنطقة فى هذه الأيام الأربعين، تركب سـفينة أخرى من جديد، وتبحر اثنى عشر يوما تصل بعدها إلى مدينة عظيمة اسمها مروى، ويقال إن هذه المدينة هى عاصمة سـائر الأحباش وسـكان هذه المدينة يعبدون زيوس وديونيسوس فقط، وهم يعظمونهما تعظيما شديدا، ويوجد عندهم وحى لزيوس. وهم يسيرون للحرب كلما أمرهم هذا الإله بوساطة الوحى وإلى حيث يأمرهم يتوجهون.

٣٠ فإذا أبحرت من هذه المدينة مدة أخرى مساوية للمدة التى قضيتها فى مجيئك من الفنتين إلى عاصمة الأحباش، فستصل إلى الفارين، واسم هـؤلاء الفارين «أسماخ» وهـذه الكلمة تعنى فى اللغـة اليونانية «الذين يقفون ناحية يد الملك اليسرى». ويبلغ هؤلاء مائتى وأربعين ألف مصرى مـن طبقة الجند وقد فروا إلى الأحباش للسـبب الآتـى: فى عهد الملك بسـماتيك وضعـت الحاميات واحدة فى مدينـة الفنتين تجاه الأحباش وأخرى فى دافناى[1] بالقرب من بيلوزيوم – تجاه العرب والسـوريين،

(١) أحد الحصون المصرية فى وجه الفرس. وقد كشفت على بُعد عشرة أميال غرب القنطرة. وظهر أن طول المعسـكر فيها كان ٦٣٥ ياردة وعرضه ٤٠٠ ياردة. وهى تسـمى فى العهد القديم تحفنحيس.

وأخرى فى ماريا تجاه ليبيا. والحاميات الفارسية موجودة إلى أيامنا هذه فى هذه الأماكن كما كانت فى عهد بسماتيك، فالفرس يقومون بالحراسة فى الفنتين وفى دافناى. ظل هؤلاء المصريون إذن يقومون بالحراسة ثلاثة سنوات فى الفنتين ولم يأت أحد ليعفيهم من هذه الحراسة، وبعد أن تشاور هؤلاء واستقروا على رأى واحد، ثاروا على بسماتيك وذهبوا إلى الحبشة. ولما علم بسماتيك بالأمر اقتفى أثرهم، ولما لحق بهم حاول طويلا أن يقنعهم بألا يهجروا آلهة آبائهم، وأولادهم ونساءهم. ويقال إن أحدهم أشار إلى عورته وقال ما دامت هذه موجودة فسيكون لهم هناك أولاد ونساء. ولما وصلوا إلى الحبشة وضعوا أنفسهم رهن مشيئة ملك الأحباش وهذا كافأهم على النحو الآتى: كان بعض الأحباش مختلفين معه، فأمر المصريين أن يطردوهم ويسكنوا أرضهم. ولما نزل هؤلاء بين الأحباش صار الأحباش أكثر تمدينا بعد أن أخذوا العادات المصرية.

٣١ فالنيل إذن معروف إلى مدى مرحلة أربعة أشهر فى البر والبحر فضلا عن مجراه فى مصر. ذلك إنك إذا حسبت وجدت أن هذه هى الأشهر التى تقضيها فى رحلتك من الفنتين إلى هؤلاء الفارين. ويجرى النيل من الغرب والشمس الغاربة. ولا يستطيع أحد أن يخبر عن يقين عما وراء هذه المنطقة لأن هذه البلاد مقفرة لشدة حرارتها.

٣٢ ولكنى سمعت الرواية التالية من بعض القورينائيين. فقد قالوا لى إنهم زاروا مهبط وحى آمون ودخلوا فى حديث مع ايتيارخوس[1] ملك الآمونيين. وفى أثناء الكلام فى مسائل مختلفة انساق الحديث

(١) قد يكون الاسم تحريفا للاسم النوبى تهراقا.

إلى النيـــل وكيف أن أحـــدا لا يعرف منابعه. فقـــال ايتيارخوس إنه قد زاره ذات مرة بعض الرجال من النســـامونيين (وهؤلاء قبيلة ليبية تسكن منطقة خليج ســـدرة والبلاد التى تليه شـــرقا إلى أمد غير بعيد) ولما دخل عليه النســـامونيون وســـألهم إذا كان لديهم معلومات جديدة عن صحراء ليبيا، قالوا إن عددهم نفرٌ من أبناء الأعيان هوج، لما بلغوا مبلغ الرجال قامـــوا بمخاطرات خارقة منها أنهم اختاروا من بينهم بالاقتراع خمســـة لمعاينـــة صحراء ليبيا ليروا إذا كان فى مقدورهم أن يروا شـــيئا أكثر مما رأى الذين عاينوا أبعد الآماد. (فى هذه الأجزاء من ليبيا التى تقع على البحر الشـــمالى مبتدئة من مصر وممتدة إلى رأس ســـولوجس[1] وهو آخر حدود ليبيا، ينتشـــر كثير من القبائل الليبية على طول ســـاحل البحر، وليبيا فيما وراء الشـــعوب التى تصل بلادها إلى البحر مليئة بالحيوانات المفترســـة، فـــى حين أنها فيما يلـــى الأجزاء التى تغشـــاها الحيوانات المفترســـة صحراء رملية لا ماء فيها البتة وجرداء للغاية) هؤلاء الشـــبان حينما أرسلهم أقرانهم مزودين كما ينبغى بالماء والمؤن اخترقوا أولا البلاد المأهولـــة، وبعـــد أن جاوزوها وصلوا إلى البلاد التى تغشـــاها الحيوانات المفترســـة وجاوزوها إلى الصحراء متخذيـــن طريقهم صوب الغرب، وبعد أن ســـاروا أياما كثيرة فى صحراء رملية شاســـعة رأوا أخيرا أشجارا فى ســـهل باسقة، فلما وصلوا إليها شـــرعوا يقطفون ما عليها من ثمار، فما لمســـوها حتـــى جاءهم رجال قصـــار أضأل من الرجل العـــادى، وقبضوا عليهم وســـاقوهم أسرى. ولم يفهم النســـامونيون شيئا من لغتهم ولا فهم

(١) هو رأس سبارتل الآن أو رأس كانتن.

آسروهم شيئا من لغة النسامونيين. وساقوهم عبر مستنقات واسعة فلما جاوزوها وصلوا إلى مدينة كل من فيها فى حجم آسريهم وفى لونهم، سود. وبجوار هذه المدينة ينساب نهرٌ كبيرٌ يجرى من الغرب إلى الشمس المشرقة. وترى فيه التماسيح.

٣٣ ولأكتفى الآن بهذا القدر من قصة ايتيارخوس الآمونى، إلا إنه قرر أن النسامونيين رجعوا سالمين - هكذا أخبرنى القورنيائيون - وإن القوم الذين كانوا قد وصلوا إليهم كانوا جميعا من السحرة. أما ذلك النهر الذى يجرى بالقرب من المدينة فقد استنتج إيتيارخوس أنه نهر النيل، والدليل العقلى يحملنا على الأخذ بهذا الرأى. ذلك أن النيل ينبع من ليبيا ويشطر ليبيا فى منتصفها، وهو يبدأ - فيما أستنتج أنا بالاستدلال من المعلوم على المجهول - على بُعد يساوى بُعد نهر الطونة. لأن نهر الطونة يبدأ من عند الكلتيين ومدينة بيرينى وينساب شاطرا أوروبا فى الوسط (الكلتيون وراء أعمدة هرقل وهم يجاورون الكينيسيين الذين يسكنون فى أقصى الغرب فى كل سكان أوروبا). وينتهى مجرى نهر الطونة مخترقا أوروبا كلها بأن يصب فى البحر فى ذلك الموقع من البحر الأسود الذى أنشأت فيه جالية ملطية مستعمرة إيستريا[1].

٣٤ ولقد عرف الكثيرون مجرى نهر الطونة لأنه ينساب فى مناطق مأهولة ولكن ليس فى مقدور أحَد أن يقول شيئا من منابع النيل، لأن ليبيا التى ينساب فيها غير مأهولة وجرداء. ولقد وصفت مجراه إلى أقصى ما بلغت فى أبحاثى وهو يصب فى مصر. وتقع مصر فى مواجهة

(١) مستعمرة ملطية على البحر الأسود فى إقليم دوبروجه بالقرب من مدينة قسطنجى.

المناطق الجبلية من كيليكية تقريبا. والمسافة من هنا إلى سينوب وهى على البحر الأسود مسيرة خمسة أيام فى طريق مستقيم للرجل المجد. وتقع سينوب فى مواجهة نهر الطونة حيث يصب فى البحر. لذلك يبدو لى أن النيل يخترق ليبيا كلها ويناظر نهر الطونة. ولنقنع الآن بهذا القدر من الحديث عن نهر النيل.

٣٥ ولكنى سأستهل حديثى عن مصر مسهبا، لأنها تشتمل على روائع أكثر من سائر العالم، وترينا آثارا تفوق الوصف بالنسبة لسائر البلاد. من أجل هذه الأسباب إذن سأتحدث عنها أكثر من البلاد الأخرى: المصريون نظرا إلى مناخ بلادهم الخاص، وإلى أن نهرهم له طبيعة خاصة مغايرة لطبيعة سائر الأنهار، قد اتخذوا لأنفسهم عادات وسننا مخالفة من كل الوجوه تقريبا لما يتخذه سائر الشعوب. فالنساء عند المصريين يذهبن إلى الأسواق ويمارسن التجارة؛ أما الرجال فيبقون فى البيوت وينسجون وينسج سائر الناس بدفع اللحمة من أسفل إلى أعلى، أما المصريون فيدفعونها من أعلى إلى أسفل، والرجال يحملون الأثقال على رؤوسهم أما النساء فيحملنها على أكتافهن. وهم يتغوطون فى بيوتهم ويأكلون فى الخارج فى الطرقات، محتجين بأن الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى فى الخفاء، أما غير القبيحة فتؤتى جهرا. والمرأة عندهم لا تكون كاهنة لإله أو إلهة، أما الرجال فمنهم الكهنة لكل الآلهة والآلهات. وليس عندهم من تكليف يضطر البنين إلى كفالة والديهم إذا لم يشاءوا، والتكليف عام بالنسبة للبنات حتى لو لم يشأن.

٣٦ وكهنة الآلهة فى كل مكان آخر يطلقون شعورهم. أما فى مصر فيحلقونها، والسنة عند سائر الشعوب فى الحداد أن يحلق الذين يتصل بهم الأمر من قريب رؤوسهم، أما المصريون فبعد وقوع الموت يطلقون شعورهم على رؤوسهم وأجسادهم وقد كانت من قبل محلوقة. ويعيش سائر الناس بعيدا عن الحيوانات أما المصريون فيعيشون معها. ويعيش سائر الناس على القمح والشعير، والمهانة العظمى لمن يعيش عليهما من المصريين فهم يصنعون خبزهم من الذرة التى يسميها البعض القمح الوحيد الحبَّة وهم يعجنون العجين بالأقدام، أما الطين فبالأيدى وبها يرفعون الروث، أما الثياب فللرجل الواحد ثوبان وللمرأة ثوب واحد، ويربط سائر الناس حلقات الشراع وحبالها من الخارج، أما المصريون فيربطونها من الداخل. ويكتب اليونانيون ويحسبون بمد اليد من اليسار إلى اليمين أما المصريون فيمدونها من اليمين إلى اليسار. وفيما هم على هذا النهج يقولون إنهم يكتبون إلى اليمين، فى حين أن اليونانيين يكتبون إلى اليسار، وهم يتخذون نوعين من الكتابة واحدة تسمى عندهم مقدسة والأخرى عامة[1].

٣٧ وهم شديدو التقوى أكثر من سائر الشعوب. وهذه هى السنن التى يتبعونها: يشربون من أقداح برونزية ويغسلونها كل يوم – كلهم بغير استثناء – وهم شديدو الاحتفال بأن تكون الملابس الكتانية التى يلبسونها حديثة الغسل دائما. ويحلق الكهنة كل أجسامهم كل يومين، لئلا يتولد فيها قمل أو غيره من الحشرات أثناء قيامهم بخدمة الآلهة.

(١) الكتابة المقدسة هى الهيروغليفية والعامة هى الديموطيقية.

ويتخـذ الكهنة ثيابهم من الكتان وحده وأحذيتهم من البردى. ولا يسمح لهم بلبس غير ذلك من الملابس أو الأحذية. وهم يستحمون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين بالليل. وهم يرعون من الطقوس مـالا يعد ولا يحصى كمـا نقول. وهم يتمتعون كذلـك بامتيازات كثيرة: فهم لا يسـتهلكون ولا ينفقون شـيئا من دخلهم الخاص، بـل يخبز لهم خبز مقدس، ويعطـى كل واحد منهم كل يوم قدر كبير من لحم الثـيران والأوز، والخمر التى تقدم لهم مصنوعة من العنب، ولا يجوز لهم تناول الأسماك ولا يبذر المصريون الفول فى حقولهـم مطلقا، ولا يذوقون مـا قد ينبت منه فجا أو مطبوخا. أما الكهنة فلا يطيقون النظر إليه لأنهم يعتقدون أنه بقل دنس. وليس لـكل واحد من الآلهة كاهن واحد بل كثـيرون. وأحدهم هو كبير الكهنة. وحينما يموت واحد من الكهنة، يعين ابنه فى مكانه.

٣٨ ويعتقـدون أن الثيران مقدسـة لإبافوس وهـم لذلك يفحصونها بالطريقة الآتية: إذا رأى الكاهن شعرة واحدة سوداء فى بدن الثور اعتقد أن الحيـوان دنس. ويقوم واحد من الكهنة يوكل إليه هذا الأمر بفحص الحيوان حينما يكون الحيوان قائما مرة وراقدا أخرى، ويجذب لسـانه ليرى إذا كان طاهرا بحسب سيمات معينة سأتناولها بالكلام فى موضع آخر[1]. ويفحص شـعر الذيل كذلك ليرى إذا كان الشـعر ينبت طبيعيا. فـإذا كان الثور طاهـرا من كل هذه الوجوه يختمه بـأن يلف قطعة من البردى حول قرنيه ويلصقها بصلصال لزج ثم يضع عليها خاتمة. وهكذا

(١) فى الكتاب الثالث، فصل ٢٨.

يذهبون بالثور. والموت هو العقوبة المقررة لمن يضحى بثور غير مختوم. هذه إذن طريقة فحص الحيوان.

٣٩ أما طريقتهم فى تضحيته فهكذا: يسوقون الثور المختوم إلى المذبح حيث تكون التضحية، ثم يشعلون نارا، وبعد ذلك يسكبون خمرا على المذبح فوق الضحية، ثم ينحرون داعين للإله. وبعد نحر الذبيحة يفصلون الرأس أما الجسم فيسلخونه ويأخذونه. وبعد ذلك يستنزلون لعنات كثيرة على تلك الرأس. أما الذين لديهم سوق وتجار يونانيون فى مدينتهم فيحملون الرأس إليه ويبيعونه فى الحال، وأما الذين لا يعيش يونانيون بينهم فيلقون بالرأس فى النهر. وهذه هى اللعنات التى يتلونها على الرأس: «إن كانت مصيبة توشك أن تقع للمضحين أنفسهم أو لمصر على العموم فلتقع على تلك الرأس». ويتبع المصريون كلهم فيما يتعلق برؤوس الحيوانات المضحى بها وبتقريب الخمر هذه الشعائر نفسها، ويطبقونها على كل الذبائح ووفقا لهذه السنة لا يذوق أحد من المصريين البتة رأس أى كائن ذى روح.

٤٠ وتختلف عندهم طريقة استخراج أحشاء الضحية وحرقها باختلاف الضحية. وسأبدأ بوصف الطريقة الخاصة بالإلهة[1] التى يعتبرونها أعظم الآلهات ويحيون من أجلها أعظم الأعياد. بعد أن يسلخوا الثور ويفرغوا من الصلوات يخرجون المصارين كلها، ولكنهم يتركون داخل الجسم الأحشاء والدهن، ثم يقطعون الأرجل وأطراف العجز والأكتاف والرقبة، وبعد أن يقوموا بهذا يملأون بقية جسم الثور

(١) يظهر أن كلمة إيزيس سقطت من النص بعد كلمة إلهة.

خبزا طاهرا وعسلا وزبيبا وتينا وبخورا ومرا وغيرها من الطيب. وبعد أن يملأه بهذه الأشياء يسكبون عليه زيتا كثيرا ثم يحرقونه. وهم يصومون قبل التضحية، ويضرب الجميع صدورهم أثناء احتراق الضحية. فإذا ما فرغوا من ضرب صدورهم يوضع أمامهم الطعام وهو ما أبقى عليه من جسم الذبيحة.

٤٤ ويضحى المصريون كلهم بالثيران والعجول الطاهرة ولا يحل لهم أن يضحوا بالأبقار فهى مقدسة لإيزيس. وتمثال إيزيس على هيئة امرأة ولكن له قرنين، على نفس الصورة التى يصور بها اليونانيون إيو[1] ويعظم المصريون جميعا على حد سواء الأبقاء أكثر من سائر الماشية بكثير. ولذلك لا يقبل مصرى أو مصرية يونانيا فى فمه، ولا يستعمل سكين يونانى أو سفودة أو قِدْرَة، ولا يذوق لحم ثور طاهر إذا كان مقطوعا بسكين يونانية. وهم يدفنون الثيران النافقة على النحو الآتى: أما الإناث فيلقونها فى النهر وأما الذكور فيدفنها سكان كل إقليم فى إقليمهم ويدعون قرنا أو القرنين معا بارزين حتى يكونا علامة على مكان الدفن. وعندما تتحلل الجثة ويأتى اليوم المعلوم تصل إلى كل مدينة سفينة من الجزيرة التى تسمى بُروسوبيتيس[2] وهى فى الدلتا ومحيطها تسعة سخينوس. وفى جزيرة بروسوبيتيس هذه توجد مدن كثيرة، أما المدينة التى تأتى منها

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن زيوس أحب أيو فغارت زوجة هيرا ومسخت إيو بقرة. وظلت هذه تنتقل على هذا الحال من أوروبا إلى آسيا إلى أن حطت رحالها فى مصر وفيها استعادت هيئتها الأولى وأنجبت إبافوس.

(٢) جزيرة فى الدلتا حوصر فيها اليونانيون الذين جاءوا لمساعدة إناروس فى ثورته ضد الفرس واضطروا إلى التسليم فى سنة ٤٥٤ ق.م.

السفن لتحمل عظام الثيران فاسمها مدينة أتاربيخيس[1] وفيها يقوم معبد أفروديت المقدس. ومن هذه المدينة يرحل أقوام فيذهب كل رهط منهم إلى مدينة، ويستخرجون العظام ويذهبون بها ويدفنونها معا فى مكان واحد. وهم يدفنون سائر الأنعام النافقة بنفس الطريقة التى يدفنون بها الثيران. سُنَّ على ذلك عندهم بشأن الأنعام أيضا، وهم لا يذبحونها.

٤٢ ويتجنب كل الذين يقيمون لديهم معبدا لزيوس الطيبى وأهل إقليم طيبة الأغنام ويضحون بالمعزى. (المصريون لا يعبدون كلهم سواء نفس الآلهة إلا إيزيس وأوزوريس الذى يقولون إنه ديونيسوس، فكلهم سواء يعبدون هذين الإلهين). ويتجنب الذين يقيمون لديهم معبدا لمنديس[2] وأهل إقليم منديس المعزى ويضحون بالأغنام.

ويروى الطيبيون والذين ينحون نحوهم فى نبذ الأغنام القصة التالية فى نشأة هذه السنة: «كان هرقل يريد أن يرى زيوس بأية طريقة، ولم يشأ هذا أن يراه هرقل، وأخيرا وبعد أن ألح هرقل اهتدى زيوس إلى الحيلة الآتية: «سلخ كبشا وقطع رأسه، ثم لبس الرأس والفروة وهكذا أظهر نفسه لهرقل». ولذلك يصوغ المصريون تمثال زيوس ذا وجه كبش. وعن المصريين أخذ الآمونيون ذلك فهم جالية من المصريين، والأحباش يتكلمون لغة هى وسط بين الاثنين. ومن هنا أخذ الأمونيون – فيما يبدو لى – اسمهم لأن المصريين يسمون زيوس آمونا. ومن أجل ذلك لا يضحى

(١) يدل الجزء الأول من الكلمة على أنها مركبة من كلمة آتور أو هاتور وقد كانت إيزيس تعبد بهذا الاسم.

(٢) منديس هنا تعنى أوزيريس وكان الكبش يعبد فى منديس ولكن اليونانيين ظنوه الماعز.

الطيبيون بالكباش فهى عندهم مقدسة. وهم يذبحون كبشا واحدا فى يوم واحد من السنة فى عيد زيوس ويسلخونه ويُلبسون تمثال زيوس كما جاء فى القصة، ثم يحضرون إليه تمثالا آخر يصور هرقل. وبعد أن يأتوا هذا، يضرب كل من يحقون بالمعبد صدورهم حزنا على الكبش ثم يدفنونه فى قبر مقدس.

٤٣ ولقد سمعت رواية عن هرقل تقول إنه أحد الآلهة الإثنى عشر ولكنى لم أستطع أن أعرف شيئا فى أى مكان من مصر عن هرقل الآخر الذى يعرفه اليونانيون. ولدى براهين كثيرة على أن المصريين لم يأخذوا عن اليونانيين اسم هرقل بل أخذته عن المصريين تلك الطائفة من اليونانيين التى تطلق اسم هرقل على ابن أمفيتريون. وإنى أخص بالذكر منها هذا البرهان وهو أن امفيتريون والكمينا أبوى هرقل هذا كانا كلاهما مصرى المولد. ويقول المصريون إنهم لا يعرفون اسم بوزيدون ولا ديوسقورى[1] وأن هذين لم يعترف بهما إلهين بين سائر الآلهة عندهم فلو أنهم كانوا قد أخذوا عن اليونانيين اسم أى إله لاحتفظوا بذكر هذين قبل سواهما. ولقد كان المصريون حتى فى ذلك العصر يمارسون الملاحة كما أعتقد وكما يهدينى الفكر وكان بعض اليونانيين ملاحين. فكان الأولى بالمصريين أن يعرفوا اسمى هذين الإلهين لا اسم هرقل. لا، إن هرقل إله قديم جدا عند المصريين، فإنهم كما يقولون أنفسهم يعتبرون هرقل واحدا من الآلهة الاثنى عشر التى نشأت عن الآلهة الثمانية قبل حكم أمازيس بسبعة عشر ألف عام.

(١) الكلمة تعنى فى اليونانية ابنى زيوس وهما كاستور وبوللوكس.

٤٤ ولقد أردت أن أستقى معلومات دقيقة عن هذه المسائل من الذين يفقهونها، فأبحرت إلى صور فى فينيقية إذ علمت أن هناك معبدا مقدسا لهرقل[1]. ولقد رأيته مزدانا بكثير من النصب من بينها عمودان أحدهما من الذهب المصقول والآخر من الزمرد وهو ضخم الحجم ينير فى الليل، وبعد أن دخلت فى حديث مع سدنة الإله سألت كم من الزمان انقضى منذ أقيم عندهم المعبد. ولكنى وجدت أن هؤلاء أيضا لا يتفقون مع اليونانيين لأنهم يقولون إن معبد الإله أقيم يوم أنشئت صور، وأنه قد انقضى على إنشاء صور ألفان وثلثمائة عام. ولقد رأيت فى صور معبدا آخرا لهرقل يحمل اسم الثاسوسى. ومن ثم رحلت إلى ثاسوس فوجدت فيها معبدا لهرقل أقامه الفينيقيون الذين أسسوا ثاسوس أثناء تجوالهم فى البحث عن أوروبا وكان ذلك قبل ميلاد هرقل بن امفيتريون فى بلاد اليونان بخمسة أجيال كاملة. هذه الأبحاث إذن توضح بجلاء أن هرقل إله قديم. وهكذا يخيل إلى أن الطائفة من اليونانيين الذين شيدوا وأقاموا معبدين لهرقل يضحون للأول بصفته أزليا ويلقبونه بهرقل الأوليمبى، ويقدمون القرابين للثانى بصفته بطلا، على غاية من الصواب.

٤٥ ويروى اليونانيون قصصا كثيرة بغير تدبر منها هذه القصة السخيفة التى يروونها عن هرقل: إذ يحكى أن هرقل جاء إلى مصر فكلل المصريون رأسه وزفوه فى موكب ليضحوا به لزيوس. أما هو فقد اعتصم بالصمت برهة ولما بدأوا يقيمون طقوس التضحية أمام المذبح لجأ

(١) هو الإله ملقرت فى صور.

إلى قوة بأســه وقتلهم جميعا.ويبــدو لى أن اليونانيين يبدون بقولهم هذا جهلهم العميم بطبيعة المصريين وعاداتهم. فكيف يجوز لقوم لا تحل لهم التضحيــة بالحيوان إلا الخنازير والثــيران والعجول ما كان منها طاهرا والأوز، أن يضحوا بآدميين؟ وكيف يتأتى لهرقل وهو بعد فردٌ آدمى كما يقولــون أن يقتــل كل هذه الألوف؟ ولنكتف بهذا القدر من الحديث فى هذه المسائل وليكن حديثنا مقبولا لدى الآلهة والأرباب.

٤٦ ولا ينحر المصريون الذين أسلفت ذكرهم الماعزة أو الماعز للأسباب الآتية: يقــول أهل منديس إن بان أحد الآلهــة الثمانية الذين كانوا فى زعمهم قبل الآلهة الإثنى عشــر، ويرســم المصورون والمثالون صورة بان ويحفرونهــا كما هو الأمر عنــد اليونانيين ذات وجه ماعزة ورجلى ماعز ولــو أنهم لا يعتقدون أنه على تلك الهيئة بل يشــبه ســائر الآلهة. أما السبب الذى يصورونه من أجله على تلك الهيئة فأكثر طرافة عندنا من أن نهمل ذكره، يقدس أهل منديس كافة المعزى ولكن الذكور منها أكثر مــن الإناث ورعاة الذكور يحظون بتعظيم أكثر من رعاة الإناث. ويقدس واحــد من الذكور بوجه خــاص، فإذا مات يعم الحداد العظيم كل إقليم منديس. وفى مصر يسمى الماعز وبان كلاهما بمنديس.

٤٧ ويــرى المصريــون أن الخنزير حيوان دنس. فــأولا، إذا لامس واحد أثناء عبوره خنزيرا ذهب إلى النهر وألقى فيه بنفســه بملابسه من فــوره. وثانيا، رعاة الخنازير، مــع أنهم مصريو المولد، لا يدخلون دون ســائر المصريين معبدا واحدا من جميع معابد مصر، ولا يرضى أحد أن

يزوجهم من ابنته. أو يتخذ منهم زوجا، بل إن رعاة الخنازير يتزاوجون فيما بينهم. والآن، فمع أن المصريين لا يوافقون على نحر الخنازير لسائر الآلهة فإنهم ينحرونها لسيلينى وديونيسوس وحدهما فى وقت واحد وذلك عندما يكون القمر بدرا، وبعد نحرها يأكلون لحمها. أما لماذا يكرهون الخنازير فى سائر أعيادهم، وينحرونها فى هذا العيد، فلا يجوز لى أن أذكر السبب الذى يتحدث به المصريون، ولو أنى عالم به. وعتر الخنازير لسيلينى يكون على النحو الآتى: عندما يعترها العاتر يضع طرف الذيل والطحال والغشاء المهبلى بعضها مع بعض ثم يلفها بكل ما يوجد حول بطن الحيوان من دهن، ثم يحرقها قربانا. ويؤكل باقى اللحم فى البدر الذى تقرّب فيه العتيرة. ولا يذوقونه البتة فى سائر الأيام. أما الفقراء منهم فلقلة مواردهم يصورون من العجين خنزيرا ويخبزونه ثم يقدمونه قربانا.

٤٨ وفى ليلة العيد ينحر كل واحد أمام بيته عفرا لديونيسوس ثم يرده إلى الراعى الذى باعه إياه ليأخذه. ويحيى المصريون سائر شعائر العيد لديونيسوس بطريقة تشبه الطريقة المتبعة فى بلاد اليونان من جميع الوجوه تقريبا، فيما عدا الرقص، وبدلا من المذاكير ابتكروا تمثالا طوله ذراع يتحرك بوساطة خيط يحمله النساء ويطفن به فى القرى. ويكون الذكر متحركا ولا يقل كثيرا فى حجمه عن الجسم كله. ويتقدم الزمار الموكب، وينشد النساء اللائى يتبعنه المدائح لديونيسوس. وهم يدلون بقصة دينية تبين لماذا كان الذكر كبير الحجم، ولماذا يتحرك دون سائر الجسم.

٤٩ ويبدو لى أن ميلامبوس[١] بن أنيثيون لم يكن جاهلا بهذا العيد، بل كان عالما به. فميلامبوس كان أول من أدخل فى بلاد اليونان اسم ديونيسوس[٢] وعيده وموكب الذكر، وهو لم يفهم على وجه الدقة العقيدة التى بشر بها بحذافيرها. ولكن الفقهاء الذين تلوه أوضحوها أحسن منه. ومهما يكن من شىء، فإن ميلامبوس هو أول من أدخل الذكر الذى يحمل فى موكب ديونيسوس. وعنه أخذ اليونانيون ما يعملون. وإنى أقرر أن ميلامبوس كان رجلا حاذقا، وضع لنفسه طريقة للعرافة، وأنه تعلم من مصر أشياء كثيرة مختلفة أدخل منها فى بلاد اليونان شعائر ديونيسوس مع تعديل بسيط، وإنى لن أقر بحال أن شعائر ديونيسوس فى مصر وفى بلاد اليونان متفقة بمحض المصادفة. فلو كان الأمر كذلك لكانت شعائر ديونيسوس فى بلاد اليونان تحمل طابع العادات اليونانية، وما كانت حديثة الدخول فيها. لا ولن أقول إن المصريين أخذوا هذه السُّنة أو أى سُنَّة غيرها عن اليونانيين. والرأى عندى على وجه التحقيق أن ميلامبوس تعلم شعائر ديونيسوس من قادموس[٣] الصورى ومن أولئك الذين ارتحلوا معه من فينيقية إلى البلاد التى تدعى الآن بيوشيا.

٥٠ ولقد جاءت أسماء الآلهة كلها تقريبا إلى بلاد اليونان من مصر. فأما أنها قد أتتنا كلها من الأجانب فأمر قد حققته بالبحث، ويبدو لى

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن ميلامبوس أخذ الحكمة عن الحية، وعن وحى أبوللو، وهو فى زعمهم أقدم الحكماء والعرافين.

(٢) جاءت عبادة ديونيسوس من الشمال لا من فينيقية كما يقول.

(٣) هو ابن ملك فينيقية، وكان اليونانيون يعتقدون بحق أن الحروف الهجائية جاءتهم من فينيقية.

أن أكثرهـا جاء من مصر. ذلك أن أسماء الآلهة فيما عدا اسمى بوزيدون والديوسـقورى – كمـا بينت آنفـا – وأسماء هيرا وهيسـتيا، وثميس، وخاريتيـس ونيريديس[1]، كانت دائما منذ قديم الزمان فى أرض مصر. وإنى أقرر هنا ما يذكره المصريون أنفسهم. أما أسماء الآلهة التى يقولون إنهـم يجهلونها فيبدو لى أن البيلاسـجيون هم الذين أسموها، فيما عدا بوزيدون فقد عرفوا هذا الإله من الليبيين. إذ إن اسـم بوزيدون لم يوجد منذ البدء عند قوم غير الليبيين الذين كانوا يعظمون هذا الإله دائما، ولا يعترف المصريون بالأبطال أيضا.

٥١ ولقـد أخذ اليونانيون عن المصريين هذه الشـعائر وغيرها فضلا عنها مما سآتى على ذكره. ومع ذلك فهم لم يتعلموا من المصريين صناعة تماثيل هرمس ذات الذكر المنتصب فقد كان الآثينيون أسـبق اليونانيين كلهم إلى أخذها عن البيلاسـجيين، وعنهم أخذها سائر اليونانيين. فقد حدث فى الوقت الذى كان الآثينيون قد اعتبروا فيه فعلا من اليونانيين أن شـاركهم البيلاسـجيون فى سـكنى أرضهم، ومنذ تلك الحادثة بدأ الاعتراف بالبيلاسجيين كيونانيين.

وكل من دخل فى طقوس الكابيرى[2] السرية التى أخذها الساموثراقيون عن البيلاسـجيين، ويحيونها الآن يفهم ما أعنى. فهؤلاء البيلاسجيون

(١) هـيرا زوج زيوس كبير الآلهة، وهيسـتيا – عند الرومان فسـتا – هـى ربة نار المنزل الوقـدة، وتميس إلهة القانون والنظام، وخاريتيس هن آلهات الرشـاقة والجمال، والنيريديس كن خمسين من آلهات البحر.

(٢) آلهة رحيمة مقرها جزيرة ساموثراقيا. وقد أقيم لعبادتها معبد فى منف انتهك قمبيز حرمته عندما غزا مصر. ويظهر من كلام هيرودوت أنه دخل فى هذه العبادة.

الذيــن أصبحوا شــركاء للآثينيين فــى وطنهم كانوا من قبل يســكنون ساموثراقيا. وأخذ عنهم الساموثراقيون طقوسهم السرية. فالآثينيون إذن، وهــم أول من صنع تماثيل هرمس ذات الذكــر المنتصب من اليونانيين، تعلموا صناعتها من البيلاســجيين. ويروى البيلاسجيون قصة دينية عن هرمس يتجلى مغزاها فى طقوس ساموثراقيا السرية.

٥٢ كان البيلاسجيون من قبل – فيما علمت بالسماع فى دودونا– يشــفعون تضحياتهم كلها بالدعاء لآلهة لم يطلقوا على واحد منها كنية أو اسمــا. لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بعد بأسمائها. وسموها آلهة لأنها ترتب كل شىء وبيدها كافة الأقدار. وبعد مضى زمن طويل عرفوا أسماء الآلهة كلها عندما جاءتهم من مصر ماعدا اســم ديونيســوس فقد عرفوه بعد ذلك بزمن طويل. وبعد حين استنبأوا هاتف دودونا بشأن الأسماء، لأن هذا الهاتف يعتبر أقدم هاتف فى بلاد اليونان وكان حينئذ الهاتف الوحيد فيها. لما اســتنبأ البيلاســجيون هاتف دودونا عما إذا كان لهم أن يتخــذوا الأسماء التى جاءتهم مــن الأجانب، أجاب بأن عليهم أن يتخذوهــا. ومنذ ذلك الحين اســتعملوا الأسماء أثنــاء التضحية، وعن البيلاسجيون أخذها اليونانيون فيما بعد.

٥٣ ولم يعــرف اليونانيــون من أين نشــأ كل واحــد من الآلهة أم هــل كانوا جميعا أزليين وما شــكلهم إلا بالأمــس أو أول من أمس كما يقولون. وإنى شــخصيا أعتقد أن هيســيودوس[1] وهوميروس عاشــا قبل

(١) شاعر يونانى من مدينة أسكرا فى بيوشــيا عاش حوالى ٧٥٠ ق.م. بعد هوميروس على التحقيق وأهم أعماله هى كتاب «الأعمال والأيام» و«درع هرقل».

زمانى بأربعمائة سنة لا أكثر، وهما اللذان أثبتا لليونانيين أنساب الآلهة وأطلقا عليهـا ألقابها وفصلا عباداتها واختصاصاتها، وبينا أشـكالها. وإنى شـخصيا أعتقد أن الشعراء الذين يقال إنهم سبقوا هذين قد عاشوا فى الحقيقة بعدهما. والشطر الأول مما سلف هو مما تذهب إليه كاهنات هاتف دودونا، أما الشـطر الثانى فى هيسـيودوس وهوميروس فما أقول به أنا شخصيا.

٥٤ ويـروى المصريـون القصة التالية بشـأن الهاتفين اللذين يوجد أحدهما فى بلاد اليونان والآخر فى ليبيا. قال كهنة زيوس فى طيبة إن الفينيقيين سـرقوا امرأتين مقدستين من طيبة وأخذوهما واحدة إلى ليبيا والأخـرى إلى بلاد اليونان حيث بيعتـا، وأن هاتين المرأتين هما اللتان أنشأتا الهاتفين أولا فى الموضعين المذكورين. ولما سألتهم كيف تأتى لهم أن يتحدثوا بهذا العلم الدقيق أجابوا بأنهم لم يسـتطيعوا العثور عليهما بالرغـم من قيامهم من جانبهم ببحث شـامل عنهما، وأنهم عرفوا فيما بعد القصة التى أدلوا بها.

٥٥ هـذا إذن ما سمعته من الكهنة فـى طيبة. أما عرَّافات دودونا فقد روين ما يلى: «طارت حمامتان سوداوان من طيبة المصرية، فذهبت إحداهما إلى ليبيا وحطت الأخرى عندهم، واعتلت هذه شـجرة سنديان وأعلنـت بصوت آدمى أنه قد أوحى أن يقوم هاتف لزيوس هناك. وفهم القوم أن البشـرى ربانية، وأقاموه وفقا لهـذا الوحى. أما الحمامة التى ذهبت إلى ليبيا فقد أمرت الليبيين بإقامة هاتف آمون وهو خاص بزيوس كذلك». هذا ما روته كاهنات دودونا، وتسـمى كبراهن برومينيا، والتى

تليها تيماريتى وأصغرهن نيكاندرى. ويوافقهن سائر الدودونيين الذين يتصلون بالمعبد فيما ذهبن إليه.

٥٦ وهذا هو رأيى الشخصى فى هذه المسائل: إذا كان الفينيقيون قد اقتنصوا هاتين المرأتين المقدستين حقيقة، وباعوا إحداهما فى ليبيا والأخرى فى بلاد اليونان، فيخيل إلى أن الثانية قد بيعت إلى الثيسبروتيين الذين ينتمون إلى ما يسمى الآن بلاد اليونان وقد كانت هى بعينها تسمى فيما سبق بلاد بيلاسجيا. وفيما هى تحيا هناك حياة الرق أقامت تحت شجرة سنديان نامية معبدا لزيوس. فقد كان من الطبيعى بعد أن خدمت فى معبد زيوس فى طيبة أن تحتفظ بذكراه حيث ذهبت. وبعد أن تعلمت اللغة اليونانية أقامت هاتفا فى المعبد. وقالت إن أختها قد بيعت فى ليبيا على يد أولئك الفينيقيين الذين باعوها هى أيضا.

٥٧ ويبدو لى أن الدودونيين قد سموا المرأتين حمامتين لأنهما كانتا أجنبيتين، فخيل لهم أنهما تخرجان أصواتا مثل الطير. وبعد حين قالوا إن الحمامة تتكلم بصوت آدمى وذلك عندما أخرجت المرأة كلاما لديهم. ولكنها طالما كانت تتكلم لغة أجنبية بدت كأنها تخرج أصواتا مثل الطير. كيف يتأتى لحمامة أن تتحدث بصوت آدمى؟ وهم حين يقررون أن الحمامة كانت سوداء يبينون أن المرأة كانت مصرية. وتتشابه طرق الاستنباء عند الهاتف الذى فى طيبة وذلك الذى فى دودونا. ولقد جاءت العرافة عن طريق النظر فى أحشاء الضحية من مصر كذلك.

٥٨ ولقد كان المصريون ولا شك أسبق الشعوب إلى إقامة الأعياد والمواكب والصلوات، وعنهم تعلمها اليونانيون. والدليل عندى على ذلك أنها تقام عندهم منذ زمان طويل ولم تُحيا الأعياد اليونانية إلا حديثا.

٥٩ ولا يحيى المصريون العيد مرة واحدة فى السنة، بل إنهم يحيون أعيادا كثيرة أهمها وأقدسها يقام فى مدينة بوباسطيس لارتميس ويليه ما يقام فى بوسيريس، ففى هذه المدينة معبد ضخم لايزيس، وهى تقع فى وسط الدلتا المصرية، وإيزيس فى اللغة اليونانية هى ديميتير، وثالثها يقيمونه فى مدينة سايس لأثينة، ورابعها فى مدينة هليوبوليس لهليوس، وخامسها فى مدينة بوطون لليطو وسادسها فى مدينة بابريميس لآريس.

٦٠ وحينما يبحر مدينة بوباسطيس يسلكون المسلك الآتى: يبحر الرجال والنساء معا، ويكون فى كل قارب لفيف كبير من الجنسين ويمسك بعض النسوة بالطبول ويطبلن فى حين يزمر بعض الرجال طوال الرحلة، أما باقى النسوة والرجال فيغنون ويصفقون. وكلما وصلوا فى طريقهم تجاه مدينة ما، جنحوا بمركبهم نحو الشاطئ، ويدأب بعض النسوة على عمل ما قد وصفت، ويهتف بعضهن بنساء المدينة ويسخرن منهن، ويرقص بعضهن، وهم ينهجون هذا النهج عند كل مدينة على شاطئ النهر، وعندما يصلون إلى بوباسطيس يحيون العيد بتضحيات عظيمة، ويستهلك من النبيذ فى هذا العيد أكثر مما يستهلك فى بقية العام كله، ويجتمع لإحياء هذا العيد من الرجال والنساء دون الصبيان حوالى ٧٠٠ ألف نسمة فيما يقول أهل البلاد.

٦١ هذه إذن هى سنتهم فى هذا العيد. ولقد وصفت فيما سبق كيف يحيون العيد لإيزيس فى مدينة بوسيريس، فهناك بعد التضحية، يضرب الرجال والنساء جميعا صدورهم، وهم آلاف كثيرة جدا من الناس، وليس لى أن أذكر على من يحددون. ويتمادى الكاريون[1] المقيمون فى مصر فى تلك الأعمال حتى أنهم ليقطعون وجوههم بالسكاكين وهكذا يظهرون أنهم أجانب وليسوا مصريين.

٦٢ وعندما يجتمعون للتضحية فى مدينة سايس يشعل كل واحد فى الليل مصابيح كثيرة فى الهواء فى دائرة حول منزله، وهذه المصابيح عبارة عن صحاف مملوءة بمزيج من الملح والزيت ويطفو على سطحها الفتيل وتشتعل المصابيح طوال الليل، ومنها أطلق على العيد اسم «عيد المصابيح». أما الذين لا يذهبون من المصريين إلى الاحتفال فيحرصون على أن يشعلوا هم أنفسهم أجمعين المصابيح فى ليلة التضحية. وهكذا فالعيد لا يقام فى سايس وحدها بل فى مصر كلها. وهم يروون قصة دينية تبين السبب الذى من أجله تقدس هذه الليلة وتضاء.

٦٣ ويقرِّب الذين يقيمون شطر مدينة هليوبوليس وبوطو التضحيات فحسب. أما فى بابريميس فيقربون التضحيات ويحيون الشعائر كما فى سائر البلاد. وحينما تجنح الشمس للمغيب تتفرغ طائفة قليلة من الكهنة لتمثال الإله، أما أكثر الكهنة فيقفون فى مدخل المعبد ممسكين بعصى خشبية، ويقف قِبَلهم رهط آخر من الرجال يوفون نذورهم، وهم يزيدون

(١) من مقاطعة كارية فى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى.

عن الألف عدا، ويمسكون بعصى خشبية مثل الآخرين. أما تمثال الإله فيوضع فى مقصورة صغيرة من الخشب المذهب وينقل فى ليلة العيد إلى وضع مقدس آخر. أما الفئة القليلة التى كانت قد تركت للعناية بالتمثال فتجر مركبة ذات أربعة عجلات، فوقها المقصورة وقد وضع فيها تمثال الإله. ويحاول الكهنة الواقفون بمدخل المعبد أن يمنعوهم من الدخول فيخف الذين يوفون النذور لنجدة الإله ويضربونهم. فيدافع هؤلاء عن أنفسهم وهنا تحمى معركة العصى، وتشج رؤوس، ويبدو لى أن الكثيرين يموتون بجراحهم، ولو أن المصريين ينفون أن أحدا يموت من جرائها.

والسبب فى إحياء هذا العيد فيما يقول أهل البلاد هو إن أم آريس كانت تسكن فى هذا المعبد، ولما بلغ آريس مبلغ الرجال جاء بغية التحدث إلى أمه لأنه كان قد ربى بعيدا عنها، ولم يكن وصفاء أمه قد رأوه من قبل فلم يأذنوا له فى الدخول بل ردوه. فجمع رجالا من مدينة أخرى وأخذ الوصفاء بشدة، ودخل إلى أمه، ذلك هو أصل المعركة التى يقيمونها تكريما لآريس فيما يقولون.

٦٤ والمصريون هم أول من جعل من عدم مجامعة النساء فى المعابد وعدم دخول المعابد بعد الجماع دون اغتسال سُنَّة دينية مرعية. وكل الشعوب تقريبا فيما عدا المصريين واليونانيين يجامعون فى المعابد ويدخلونها بعد الجماع دون اغتسال. وهم يرون أن شأن الإنسان فى ذلك شأن سائر الحيوان، فالحيوان والطير يعاشر فى معابد الآلهة وحرمها. فلو أن ذلك الأمر لم يكن محببا إلى الرب ما أتاه الحيوان. وهم يتعللون

بمثل هذه المبررات لأعمال هى عندى غير مرضية. ويرعى المصريون بصرامة سائر المناسك فى معابدهم وعلى الأخص هذا الذى ذكرت.

٦٥ ومع أن مصر متاخمة لليبيا فهى ليست غاصة بالحيوانات، وكل الحيوانات التى عندهم تعتبر مقدسة، وبعضها مستأنس والبعض الآخر غير مستأنس. ولو أننى ذكرت الأسباب التى قدست من أجلها الحيوانات لاستطردت فى حديثى إلى الشئون الدينية وهو أمر أتحاشى بوجه خاص الخوض فيه. أما ما عرضت له مما ذكرت من هذه الشئون فقد ذكرته مدفوعا بمقتضى الحديث. والسُنّة الغالبة فى أمر هذه الحيوانات هى أن يعين من المصريين، رجال ونساء، حراسا لكل نوع منها على حدة، ويتوارثون هذه الوظيفة الابن عن أبيه. ويوفى كل واحد من سكان المدن نزورهم إليها بالطريقة الآتية: حينما ينذرون للإله الذى يقدس له الحيوان، يحلقون رؤوس أبنائهم إما الرأس كله أو نصفه أو ثلثه، ويقوّمون الشعر بزنته فضة، ويعطى المنذر قدر زنته مهما تكن إلى حارسة الحيوان، وفى مقابل هذا يقطعون شريحة من السمك ويقدمونها للحيوانات غذاء.

هذه هى التربية التى خصت بها هذه الحيوانات. والموت عقوبة من يقتل واحدا من هذه الحيوانات عامدا. أما إذا قتل امرؤ أحدها غير عامد فيؤدى الجزاء الذى يفرضه الكهنة، أما إذا كان ما قتل أبو منجل أو صقر فسواء كان قاتلها عامدا أو غير عامد يقتل حتما.

٦٦ وكثير من الحيوانات عندهم مستأنسة. وكانت تكون أكثر مما هى بكثير لو لم تتعرض القطط لما يأتى: حيث إن الإناث منها عندما

تلـد لا تعاشـر الذكور فتصبح الذكور بالرغم من شـبقها غير قادرة على معاشـرة الإنـاث، فقد فكرت لذلك بخبث فـى أن تغتصب من الإناث صغارها أو تسرقها وتقتلها، ولكنها لا تأكلها بعد قتلها. وبعد أن تحرم الإناث صغارها، تصبح شديدة الرغبة فى غيرها وهكذا تذهب إلى الذكور ولاشـك، ذلـك أن هذا الحيوان شـديد الحب لصغاره. وحينما يشـب حريق يسـتولى على القطط إحسـاس غريب. فينتحى المصريون جانبا، ويهملـون إطفاء الحريق، ويراقبون القطط. فتنسـاب القطط بين الناس، أو تقفز فوق رؤوسـهم، وتثب إلى النار. وتصيب هذه الحوادث المصريين بحـزن عظيم. وإذا ماتت قطة فى بيت شـخص موتا طبيعيا يحلق كل أهل البيت حواجبهم فقط، أما إذا مات فى البيت كلب فيحلقون الجسم كله والرأس أيضا.

٦٧ وتنقل القطط بعد موتها إلى مقاصير مقدسة فى مدينة بوباسطيس حيـث تحنط وتدفـن. أما إناث الـكلاب فيدفنها أهـل كل مدينة فى مقابر مقدسـة. ويدفن النمـس بنفس الطريقة التى تدفـن بها الكلاب. أمـا الجرزان والصقور فتنقل إلى مدينة بوطو، وينقل أبومنجل إلى مدينة هرموبوليـس، أما الدببة وهى نادرة، والذئـاب وهى لا تزيد عن حجم الثعالب، فتدفن حيثما توجد ميتة.

٦٨ وهذه هى طبيعة التماسـيح: لا تأكل شـيئا فى أشـهر الشتاء الأربعة. والتمسـاح ذو أربع قوائم ويعيش فى الأرض والماء على السواء، ويضـع بيضه ويفقسـه على الشـاطئ ويمضى أكثر النهـار على الأرض

الجافة ولكنه يمضى الليل كله فى النهر لأن الماء يكون حينئذ أسخن من الهواء والندى. وهو دون سائر ما نعرف من كائنات، ينمو من أصغر حجم إلى أكبره، لأن بيضه لا يزيد كثيرا عن حجم بيض الأوز، وحجم صغاره يتناسب مع حجم البيض، ولكنه يظل ينمو حتى يبلغ سبع عشرة ذراعا بل أكثر. وله عينا خنزير وأسنان ضخمة وأنياب تتناسب مع حجم جسمه. وهو وحده دون سائر الحيوانات لا ينمو له لسان، ولا يحرك فكه الأسفل، ولكنه وحده دون سائر الحيوانات كذلك يُطْبِق فكه الأعلى على الأسفل، وله مخالب قوية وجلد على الظهر مغطى بالفلوس لا ينفذ منه شىء. ومع أن التمساح أعشى فى الماء فهو حاد البصر جدا فى الهواء، وفمه من الداخل مملوء كله بالعلق لأنه يعيش فى الماء. وتتحاشاه الحيوانات كلها والطيور، إلا الزقزاق فإنه على وئام معه، فهو يستفيد منه؛ إذ حينما يخرج التمساح من الماء إلى الأرض يفغر فاه (هو يفعل ذلك عادة فى مهب الرياح الغربية)، فحينئذٍ يدخل الزقزاق فى فمه ويلتقط العلق. ويُسَّر التمساح لهذه الخدمة ولا يؤذى الزقزاق.

٦٩ والتماسيح مقدسة عند بعض المصريين، ولكنها عند البعض الآخر غير مقدّسة بل يتخذونها أعداء. والذين يعيشون حول طيبة وبحيرة مويريس يعتبرونها مقدسة جدا. وتربّى كل من هاتين الفئتين تمساحا واحدا من بينها كلها، وبعد أن يدربونه ليصير مستأنسا، يضعون أقراطا من الحجر المذاب[1] والذهب فى أذنيه، وأساور حول

(١) لعل الحجر المذاب نوع من الزجاج أو الخزف المصقول ولا تزال ثقوب الأقراط ترى فى آذان هياكل التماسيح المحنطة.

قائمتيه الأماميتين، ويقدمون له غذاء خاصا وأضحيات ويعاملونه أحسن معاملة فى حياته فإذا مات يحنطونه ويدفنونه فى مقابر مقدسة. أما الذين يعيشون حول مدينة الفنتين فلا يعتبرونها مقدسة حتى إنهم ليأكلونها. والمصريون لا يسمونها عظايات بل خامبسى (تماسيح) فالأيونيون هم الذين أطلقوا عليها اسم عظايات بمقارنة هيئتها بهيئة العظايات التى توجد على الحيطان عندهم.

٧٠ وهناك طرق كثيرة مختلفة لصيدها، وإنى لأذكر الطريقة التى تبدو لى أجدرها بالتسجيل. يضع الصياد حول الشص عجيزة خنزير ثم يلقى بالشص فى وسط النهر، ويقف هو على شاطئ النهر ومعه خنزير صغير حى يضربه، وعندما يسمع التمساح صوت الخنزير يتجه صوب الصوت، فيلاقى العجيزة ويبتلع الشص، ثم يجرونه إلى الشاطئ. وعندما يُجر إلى الشاطئ يكون أول ما يعمله الصياد هو أن يلطخ عينيه بالطين، فإذا فعل ذلك أتم عملية الصيد بغاية السهولة، وإذا لم يفعله تتم بصعوبة.

٧١ وفرس النهر مقدس فى إقليم بابريميس، ولكن سائر المصريين لا يقدسونه. وهذه هى سحنته الخاصة التى يطالعنا بها: من ذوات الأربع، له حافر مشقوق مثل ظلف الثور، مفرطح الأنف وله معرفة حصان وأنياب بارزة، له من الحصان ذيله وصوته، ويكون فى حجم أكبر ثور، وجلده غليظ حتى إن قنا الرماح تصنع منه بعد تجفيفه.

٧٢ وتوجد كلاب الماء كذلك فى النهر، وتعتبر مقدسة. ويعتبر مقدسا من الأسماك النوع الذى يسمى الشبوط وثعبان الماء، وهذان النوعان من الأسماك مقدسان – فيما يقولون – للنيل، وكذلك الشبق من الطير.

٧٣ وهناك طائر مقدس آخر يسمى الفونقس وإنى لم أره إلا مصورا، فإن زيارته للبلاد نادرة – كل خمسمائة عام فيما يقول أهل هليوبوليس. وهو يزورهم – فيما يقولون – عندما يموت والده، فإذا كان يشبه الرسم فوصفه كما يأتى: ريش جناحيه بعضه ذهبى وبعضه أحمر، وهو شديد الشبه بالنسر فى منظره وحجمه. وهم يقولون – وقولهم هذا لا يبدو لى جديرا بالتصديق – إن هذا الطائر يدبر الحيلة الآتية: يغطى والده بطبقة من المرّ، وينطلق من بلاد العرب حاملا والده إلى معبد الشمس ويدفنه هناك. وإنه يحمله على النحو الآتى: يصنع بيضة من المر كبيرة بقدر ما يستطيع حمله. ثم يجرب أن يحملها. وبعد أن يجرب ذلك تماما، يجوِّف البيضة ويضع والده فيها بحيث يكون ثقل البيضة والوالد داخلها بعد تجويفها مثل ثقلها وهى كلها من المر المصمت. وبعد أن يغطى والده هكذا يحمله إلى معبد الشمس فى مصر. ذلك ما يفعله هذا الطير فيما يقولون.

٧٤ وتوجد حول طيبة حيات مقدسة غير مؤذية للإنسان على الإطلاق، وهى صغيرة الحجم جدا، ولها قرنان نابتان فى مقدم الرأس. وهم يدفنونها بعد موتها فى معبد زيوس، لأنها – فيما يقولون – مقدسة لهذا الإله.

٧٥ وفى بلاد العرب مكان يقع تجاه مدينة بوطو تقريبا، وقد زرته أثناء بحثى عن الحيات المجنحة. فلما وصلت رأيت عظام حيَّات وأعمدتها الفقرية بكثرة تفوق الوصف، فقد كانت هناك أكوام من الأعمدة الفقرية بعضها كبير، وبعضها أصغر منها، وبعضها أصغر من هذه أيضا.

وكانـــت هذه الأكوام كثيرة. وهذا هو وصف هذا المكان الذى تنتشـــر فيه هذه الأعمدة الفقرية: ممر ضيق فى الجبل ينفرج عن سهل فسيح يتاخم سهل مصر. وتذهب الرواية إلى أن الحيات المجنحة تطير فى الربيع من بلاد العرب صوب مصر، ولكن الطائر أبا منجل لا يدعها فى طريقها بل يبيدهـــا. ويقول الأعراب إنه من أجل هذه الخدمة يقدس أبومنجل عند المصريين تقديســـا عظيما.ويوافق المصريون على أنهم يقدسون هذه الطيور من أجل هذه الخدمات.

٧٦ وهذه هى هيئة أبىمنجل: أســـود حالك الســـواد كله، وله رجلا غراب ومنقار شـــديد التقوس وهو فى حجم الكركى. تلك إذن هيئة أبىمنجل الأسود الذى يصارع الحيات. وهذا وصف أبىمنجل الذى يروح ويغدو بين الناس فى الأغلب الأعم: أصلع الرأس والرقبة كلهـــا، وأبيـــض الريش فيما عدا الرأس والرقبـــة وأطراف الجناحين وطـــرف الذيل. فكل هذه الأجزاء التى ذكرتها حالكة الســـواد. وهو يشـــبه النوع الآخر فى منقـــاره ورجليه. وتشـــبه الحيات المجنحة حيـــات الماء فى الشـــكل، فأجنحتها ليســـت ذات ريش بل تشـــبه علـــى وجه التقريـــب أجنحة الخفافيش. ولنكتـــف الآن بما قلنا فى الحيوانات المقدسة.

٧٧ أما عن المصريين أنفســـهم فأولئك الذين يعيشـــون على الأرض المزروعـــة، أفقه من زرت للتحرى من الناس طرا بكثير، وذلك لعنايتهم بتثقيف ذاكرتهم. وهم ينتهجون هذا الضرب من الحياة: يطهرون جوفهم بالقيوء والحقن الشـــرجية ثلاثة أيام ســـويا كل شهر سعيا وراء الصحة،

معتقديـــن أن كل الأمـــراض تصيب الناس من الأكل الـــذى يتغذون به. وهـــم – حتى بغير هذا – أصح الناس قاطبة خلا الليبيين، وهذا يرجع فيمـــا أظن إلى الجو فهو غير متغير. فالأمـــراض تصيب الناس غالبا من التغيير أيا كان وخصوصا تغيير الطقس، وهم يعيشـــون على الخبز الذى يصنعونـــه من القمح الوحيد الحبَّة ويســـمونه «كيلليســـتيس». ويتعاطون خمرا مســـتخرجة من الشـــعير إذ لا يوجد فى بلادهم كروم. أما السمك فيجففون بعضه فى الشـــمس ويأكلونه نيئا، ويحفظون البعض الآخر فى الملح. أما ما يجدونه عندهم فيما عدا ذلك من الطيور والأسماك – إلا ما يعتبرونه مقدسا – فيأكلونه إما مشويا أو مطبوخا.

٧٨ وفى ولائم أغنيائهم، عندما يفرغون من طعامهم، يطوف بهم رجل يحمـــل جثة فى نعش. أما الجثة فمتخذة من الخشـــب، ومصورة ومنقوشـــة وشـــديدة الشـــبه بجثة حقيقيـــة وحجمها حـــوالى ذراع أو ذراعين على وجه الإجمـــال. ويقـــول الرجل كلما أراها إلى أحد الحاضرين «اشـــرب وإلهْ وأنت تنظر إلى هذه، فستصير مثل هذه بعد موتك». هذا إذن ما يفعلونه فى ولائمهم.

٧٩ ويتمسك المصريون بتقاليد آبائهم ولا يضيفون إليها تقليدا واحدا جديدا. ومن بين تقاليدهم المختلفة التى تســـتحق الذكر نشـــيد هو «نشيد لينوس»[1]. وهو ينشد فى فينيقية وقبرص وغيرها من البلدان، وله أسماء متغايرة عند الشعوب المختلفة. والإجماع على أنه هو نفس النشيد الذى ينشـــده اليونانيون باسم «لينوس». وإن أشد ما يثير العجب فى مصر من بين ما نعجب له فيها من أشـــياء كثيرة، المصدر الذى اشـــتقوا منه اسم

(١) نشـــيد ينعـــون فيه الصيف إذا انقضى. وكان المســـتمعون يرددون فـــى الدور قول «الويل لنا» وهو فى اللغات السامية «أى لينو» وهذه حرفت فأصبحت فى اليونانية أيلينوس ثم لينوس.

لينوس، فهم يتغنون به دائما من قديم الزمان. «ولينوس» يسمى فى اللغة المصرية «مانيروس»[1]. ولقد قال لى المصريون إنه كان الخلف الوحيد لأول ملك لمصر، ولما مات قبل أوانه كرَّمه المصريون بهذا النشيد، وأن هذا كان النشيد الأول والوحيد عندهم.

٨٥ ويشبه المصريون اللاقيديمونيين وحدهم دون اليونانيين فى وجه آخر. إذا قابل الصغار منهم الكبار أفسحوا لهم الطريق وتنحوا جانبا. وإذا أقبل عليهم الكبار قاموا من مقاعدهم. ولكنهم لا يشبهون شعبا واحدا من اليونانيين فى عادة أخرى، هى أنهم بدلا من أن يحيوا بعضهم بعضا فى الطرقات، ينحنون خافضين أيديهم إلى الركبة.

٨٦ وهم يلبسون قمصانا من التيل مموجة عند القدمين يسمونها «كالاسيريس»، ويلبسون فوقها أردية من الصوف الأبيض تسدل على الكتف، ولا يحمل أحد منهم رداء صوفيا إلى المعابد، ولا يدفن به، فذلك غير مباح. وهم يتفقون فى هذه الطقوس مع الطقوس التى يسمونها أورفية[2]. وباخوسية وهى فى الحقيقة مصرية وفيثاغورسية[3]، فلا يباح لواحد ممن يدخلون هذه النِحل أن يدفن وعليه أردية صوفية. وتروى قصة دينية فى هذه المسائل.

---

(١) لعلها من الكلمة المصرية «ما – ن – هرا» أى «جئنا ثانية».

(٢) سميت أورفية نسبة إلى أورفيوس الشاعر الكاهن القديم. وقد سادت هذه العقائد بلاد اليونان فى القرن السادس قبل الميلاد. وكانت قائمة على الشعور بالخطيئة والحاجة إلى المغفرة والإيمان بخلود الروح.

(٣) نسبة إلى فيثاغورس وهو فيلسوف يونانى ولد فى جزيرة ساموس حوالى سنة ٥٧٠ ق.م. وكان يؤمن بتناسخ الأرواح.

٨٢ ويرجع الوقوف على المعلومات الآتية إلى المصريين أيضا، وهى باسم أى الآلهة يسمى كل شهر وكل يوم، وأى الحظوظ سيلاقى كل من يولد فى يوم كذا أو كذا، وعلى أى نحو سيقضى نحبه، وأى رجل سيكون.

ولقد استغل اليونانيون الذين يتعاطون الشعر هذه المعلومات. وقد عُرف من علامات الغيب عند المصريين أكثر مما عرف عند سائر الشعوب كافة. وذلك بأنه كلما تبدَّت علامة راقبوا نتيجتها ودوَّنها، فإذا تبدى ما يشابهها بعدئذ مرة أخرى، حسبوا أن نتيجته ستكون مثل نتيجته الأولى.

٨٣ وهذا هو حال الإخبار بالغيب عندهم: لا يعزى هذا الفن إلى أحد من الناس، بل يعزى إلى بعض الآلهة. فعندهم هاتف لهرقل وأبللو وآثينة وأرتميس وأريس وزيوس، ويوجد هاتف لليطو فى مدينة بوطو. وهم يولون هذا من التقديس أكثر مما يولون سائر الهواتف. وطرق الإخبار بالغيب عندهم ليست واحدة بل مختلفة.

٨٤ والتطبيب عندهم مقسم إلى الفروع التالية، إذ كل طبيب يختص بداء واحد لا أكثر، وكل البلدان عندهم غاصة بالأطباء، لأن بعض الأطباء مختصون بالعيون، وبعضهم بالرؤوس، وبعضهم بالأسنان، وبعضهم بالأمعاء وبعضهم بالأمراض المجهولة.

٨٥ وهذه هى أساليب الحداد والدفن عندهم: إذا مات رجل وكان ذا اعتبار وقد فارق بيته، لطَّخ نساء هذا البيت كلهن رؤوسهن

أو وجوههـن بالطين ثم يتركن الجثة فى البيت ويطفن بالمدينة لاطمات خدودهن ورافعات ذيولهن وكاشفات عن صدورهن ومعهن كل قريباتهن. أما الرجال فيمكثـون حيث هم، ويلطمون خدودهم، ويرفعون أرديتهم. وعندما يفرغون من ذلك يأخذون الجثة لتحنط.

٨٦ وهناك قوم يتخصصون فى التحنيط ويتخذونه صناعتهم، وعندما تحمل الجثـة إلى هؤلاء، يعرضون على الذين يأتون بها، نماذج لجثث متخذة من الخشب ومصورة بحيث تحاكى الحقيقة. وتعزى أحسن طرق التحنيـط فيما يقولون لمـن[1] لا يصح أن أذكر اسمه فى معرض الحديث فى مثل هذا الموضوع. والطريقة الثانية التى يعرضون نماذج منها تقل عن هـذه إتقانا ونفقة، والثالثة أرخصهـا. وبعد أن يخبرونهم بذلك يعرفون منهـم بأى الطرق يريدون أن تهيأ الجثة. وبعد أن يتفق أصحاب الجثة على الأجر يذهبون فى سبيلهم، وبعد أن يخلِّفوا المحنطين فى محلهم، ينصـرف هؤلاء إلى عمليـة التحنيط على النحو التـالى إذا كان التحنيط بأحسن الطرق: يستخرجون أولا المخ من المنخارين بواسطة أداة حديدية معقوفة، يسـتخرجون بعضه بهذه الوسيلة والبعض الآخر يصب عقاقير فيه. وبعد ذلك يشـق الكشح بحجر حبشى مسنون، ويخرجون الأحشاء كلها، وبعد أن ينظفوها ويغسلوها بخمر البلح، يغسلونها ثانية بالتوابل المجروشة، ثم يملأون الجوف بمر نقى مجروش وسليخة وسائر الطيب ماعدا البخور ثم يخيطونها بالتالى، وبعد أن يقوموا بذلك يحنطون الجثة بتغطيتها بالنطرون سـبعين يوما، ولا يجوز أن تسـتمر عملية التحنيط

(١) يعنى أوزيريس.

أكثر من ذلك، وعندما تنقضى السبعون يوما، يغسلون الجثة ويلفونها كلها بلفائف مقطوعة من الكتان الرقيق النسج، مدهونة بالصمغ الذى يستخدمه المصريون فى أكثر الأحيان بدلا من الغراء، وبعد أن يتسلم أهل المتوفى الجثة يصنعون تمثالا من الخشب مجوفا على هيئة إنسان ويضعون فيه الجثة، وبعد أن يدخلوها فيه يحفظونها فى غرفة للدفن ويجعلونها قائمة مسندة إلى الحائط.

٨٧ على هذا النحو إذن يجهزون الجثث بأكثر الطرق نفقات. أما الجثث التى يطلب أصحابها الطريقة الوسطى ويهربون من النفقات، فيجهزونها على النحو التالى: يملأون حقنهم بزيت الصنوبر ويملأون به جوف الجثة، وهم لا يشجون الجثة، ولا يستخرجون الأحشاء، بل يدخلون الزيت من الشرج ويسدونه ليمنعوا الزيت من الانسياب خارجا مرة أخرى، وبعد ذلك يحنطون الجثة طوال الأيام المعينة. وأخيرا ينزلون من الجوف الزيت الذى كانوا قد أدخلوه من قبل. ولهذا الزيت قوة كبيرة حتى أنه ليجرف معه الأحشاء والمصارين وقد تحللت. وحيث أن النطرون يأكل اللحم فالذى يتبقى من الجثة هو الجلد والعظام فقط. وبعد أن يصنعوا ذلك يُرجعون الجثة إلى أصحابها ولا يعنون بها بعد ذلك.

٨٨ وهذه هى طريقة التحنيط الثالثة، وهى المستعملة فى تجهيز جثث رقيقى الحال: يغسلون الجوف بماء الفجل ثم يحنطون الجثة سبعين يوما، وبعد ذلك مباشرة يسلمونها لأهل المتوفى ليذهبوا بها.

٨٩ أما زوجات مشاهير الرجال، والنساء الفائقات الجمال البعيدات الصيت، فلا يسلمن بعد موتهن مباشرة ليحنطن. فهم لا يسلموهن للمحنطين إلا بعد انقضاء ثلاثة أيام أو أربعة أيام على موتهنّ. وهم يسلكون هذا المسلك ليمنعوا المحنطين من التمثيل بالجثث، ذلك أن أحدهم قد قبض عليه فيما يقولون متلبسا بمواقعة جثة امرأة حديثة الموت، وقد أبلغ عنه زميل له فى العمل.

٩٠ وإذا وجد أحدٌ من المصريين أو الأجانب – وهم فى ذلك سواء – ميتا وقد اغتاله تمساح أو أغرقه النهر نفسه، فعلى أهل البلدة التى جرف عندها أن يحنطوه ويجهزوا الجثة على أحسن وجه، ويدفنوه فى مقبرة مقدسة. ولا يسمح لأحد من أقرباء المتوفى أو من أصدقائه بلمسه بل يسمح بذلك لكهنة النيل أنفسهم فحسب، فهم الذين يتناولون الجثة ويدفنونها بأيديهم لأنهم يعتبرونها شيئا أعظم من مجرد جثة إنسان.

٩١ وهم يتحاشون اتخاذ العادات اليونانية، بل هم بوجه عام يتحاشون كل عادات سواهم من الناس على الإطلاق. وهكذا يحافظ سائر المصريين على هذا التقليد. ومع ذلك فتوجد مدينة عظيمة هى خميس فى إقليم طيبة بالقرب من مدينة نيابوليس، ويوجد فى هذه المدينة باسم برسيوس بن داناى، معبد مربع ينمو حوله النخيل. وبوابة هذا المعبد من الحجر، وهى كبيرة جدا يقوم فوقها تمثالان عظيمان من الحجر. ويوجد فى هذه الساحة محراب يقوم فيه تمثال لبرسيوس، ويقول أهل خميس أنه كثيرا ما يتجلى لهم برسيوس فى البلاد، وكثيرا ما يظهر داخل

المعبد، وأنهم كثيرا ما يجدون الخف الذى ينتعله، وطوله ذراعان، وأنه حينما تحدث ظاهرة التجلى هذه، تزدهر مصر كلها. هذه هى روايتهم. وهم يحيـون الطقوس اليونانية من أجل برسـيوس فيعقـدون مباريات رياضية تشـتمل على جميع فنون المسابقات، ويقدمون جوائز – أغناما وأردية وجلودا. ولما سـألت لماذا كان من عادة برسـيوس أن يتجلى لهم وحدهم ولماذا يقيمون المباريات الرياضية مخالفين بذلك سـائر المصريين أجابوا بأن برسيوس أصله من مدينتهم، وأن دناؤس ولينكيوس[1] اللذين أبحـرا إلى بلاد اليونان كانا من أهل خميس، وذكروا الأنسـاب بادئين بهذين ووصلوا بها إلى برسـيوس، وقالوا: إن برسـيوس لما جاء إلى مصر للغـرض الذى يقول به اليونانيون أيضا، أى لإحضار رأى جورجو[2] من ليبيا تعرَّف على أهله جميعا، وأنه كان على علم تام باسـم خميس قبل أن يـزور مصر، إذ إنه كان قد سمع به مـن أمه، وأنه قد أمرهم بإقامة المباريات الرياضية باسمه.

٩٣ ويرعى المصريون الذين يعيشـون فيما وراء المستنقعات كل هذه التقاليد، ويرعى سـكان المسـتنقعات التقاليد عينها، التى يرعاها سائر المصريين من جميع الوجوه، ومن حيث أن كل واحد منهم يتخذ زوجة واحـدة مثل اليونانيين تماما، ولكنهم توفيرا للحبوب اكتشـفوا الطريقة الآتيـة: عندما يحدث الفيضان ويغمر النيل السـهل، ينبت السوسـن

(١) تذهب الأساطير إلى أن لينكيوس ابن شقيقة دناؤس، وأن حفيدته دنائى هى أم برسيوس.

(٢) يعنى ميدوسـيا وقد كانت جدائل شعرها حيات مرعبة تحيل كل من ينظر إليها صخرا وقد استطاع برسيوس بوساطة مرآة أن يقتلها وأن يحمل رأسها إلى مصر.

فى الماء بكثرة، ويسميه المصريون البشنين وهم يجمعون هذا ويجففونه فى الشمس ويطحنون ما يكون فى وسط البشنين من حب، وهو يشبه الخشخاش ويصنعون منه أرغفة تخبز على النار. وجذر البشنين صالح للأكل هو الآخر، وهو لذيذ الطعم نوعا، مستدير الشكل، فى حجم التفاحة. وهناك أنواع أخرى من السوسن تشبه الورد، وهى مثل البشنين، تنبت فى النهر. وتنمو ثمرته من جذر فى كأس على ساق منفرد، وهو يشبه فى شكله خلية النحل. وتوجد فى هذه الكأس حبات كثيرة صالحة للأكل، وهى فى حجم نوى الزيتون، تؤكل طازجة وجافة. أما البردى الذى ينبت سنويا فيقتلعونه من المستنقعات، ويقطعون الجزء الأعلى منه ويحولونه إلى أغراض مختلفة. أما الجزء الأسفل المتخلف، وطوله ذراع تقريبا فيأكلونه ويبيعونه. أما شديدو الرغبة فى تناول البردى أحلى ما يكون فيأكلونه بعد طبخه فى فرن فخارية محمية، ويعيش بعض هؤلاء القوم على الأسماك فحسب، وهم حين يصيدونها يستخرجون أحشاءها ويجففونها فى الشمس ثم يأكلونها جافة.

٩٣ ويوجد فى النهر قليل من سمك الأسراب، وهذه تسلك بعد أن تترعرع فى البحيرات السلوك التالى: فعندما تجتاحها شهوة التلقيح تسبح إلى البحر فى سرب، ويقود الذكور السرب وتنثر اللقاح فتلتقطه الإناث التى تتبع الذكور وتحبل به. وحينما تحمل فى البحر تقفل راجعة من توها كل واحدة إلى مكمنها، ولكن الذكور لا تعود بعدُ قائدة للسرب بل إن الإناث تكون فى الطليعة. وحينما تكون الإناث فى مقدمة السرب، تصنع كما كانت الذكور تصنع تماما.فهى تنثر بيضها شيئا

فشيئا الواحدة منه فى حجم حبَّة الذرة، فتبتلعها الذكور التى تتبعها، وهذه الحبات هى الأسماك. فمن الحبات التى تهمل ولا تُبتلع تكون الأسماك التى تنمو. وترى الأسماك التى تسبح فى رحلتها نحو البحر وقد تهشم الجانب الأيسر من رأسها. فى حين أن تلك التى تسبح راجعة ترى وقد تهشم الجانب الأيمن منها. وهى تتعرض لهذا الأذى للسبب التالى: فى طريقها إلى البحر تلزم جانب الشط الذى إلى اليسار، وفى أثناء رجوعها ثانية تلزم نفس الجانب مقتربة منه وحافة به إلى أقصى حد، وذلك لئلا تخطئ الطريق من جراء التيار. وحينما يبدأ النيل فى الفيضان تكون الفجوات التى فى الأرض والبرك التى بالقرب من النهر أول ما يبدأ فى الامتلاء بالماء، وذلك لتسرب الماء من النهر إليها. وبمجرد امتلائها بالماء تصبح كلها فى التو غاصة بالأسماك الصغيرة. ويخيل إلى أننى أفهم لماذا كان من الطبيعى أن يحدث ذلك. فعندما هبط النيل فى السنة السابقة تركت الأسماك بيضها فى الطين وقفلت راجعة مع آخر ما انحسر من الماء. وعندما تنقضى الفترة المعلومة ويرجع الماء ثانية، تنتج هذه الأسماك على الفور من هذا البيض. ولنكتف الآن بهذا القدر من الحديث فى الأسماك.

٩٤ والمصريون الذين يعيشون حول المستنقعات يتخذون زيتا من ثمار نبات الخروع ويسميه المصريون «كيكى» وهم يستخرجونه بالطريقة الآتية: يبذرون هذا الخروع على حوافى الأنهار والبحيرات. (ينمو نوع برىّ منه من تلقاء نفسه فى بلاد اليونان). والذى يبذر فى مصر يحمل ثمارا كثيرة ولكنها كريهة الرائحة، وبعد أن يجمعوا هذه الثمار، يقطها

البعـض ويعصرها، أما البعض الآخر فيحمصونها ويغلونها ويجمعون ما يقطر منها. وهذا السائل يكون لزجا ولا يقل صلاحية عن زيت الزيتون للمصباح، إلا أن له رائحة كريهة.

٩٥ ولقد لجأوا إلى الحيلة الآتية ضد البعوض وهو كثير عندهم: فأما الذين يسـكنون فيما وراء المستنقعات فيسـتغنون بأبراجهم إذا تسنموها ونامـوا فيها، لأن البعوض لا يسـتطيع أن يحلق إلى هذا الارتفاع تحت ضغط الرياح. وأما الذين يسـكنون حول المستنقعات فقد لجأوا إلى حيلة أخرى عوضا عن الأبراج. يزوّد كل واحد منهم بشبكة يصيد بها السمك أثناء النهار أما بالليل فيستخدمها على النحو الآتى: يبسط الشبكة حول السـرير الذى ينام عليه، ثم يتسـلل داخلها وينام تحتها. أما إذا لف نفسه فى رداء أو ملاءة من الكتان ونام عضه البعوض من خلال الغطاء، مع أن البعوض لا يقرب الشبكة البتة.

٩٦ وتصنع سـفنهم التى تحمل البضائع من شجر اللبخ وهو قريب الشبه فى شكله بالبشنين القورينائى، وهو ينضح الصمغ. وبعد أن يقطعوا الأخشـاب من هذا اللبـخ ألواحا طول الواحد منهـا ذراعان، يصففونه كما يصففون اللبن، ويصنعون منه السـفينة على النحو الآتى: يعشّـقون الألواح التى طول الواحد منها ذراعان حول أوتاد طويلة متلاصقة. وبعد أن يبنوا هيكل السـفينة على هذا النحو يمـدون عوارض على أعاليها. وهم لا يسـتخدمون الضلوع بل يسدون الفواصل التى بالداخل بالبردى. ويصنعون دفة واحدة تدفع فى قاع السفينة. ويتخذون السارى من اللبخ

والشـراع من البردى. ولا تستطيع هذه السـفينة أن تسير ضد التيار إذا لم تواتها ريح شـديدة، بل تجر حينئذ من الشـاطئ. وهى تسـير مع التيار على النحو الآتى: يوجد إطار مصنوع من الأثل وقد حُشِى بقصب مجـدول، وحجرٌ مخروم زنته طالنطان تقريبا. يطلق السـفان الإطار وقد ربط بحبل ليطفو أمام السـفينة، ويلقـى بالحجر وراءها وقد ربط بحبل آخر. ويدفع التيار الإطار فيتحرك بسرعة ويجر «الباريس» (هذا هو اسم هذه السفينة). أما الحجر فيجر وراءها، وحيث إنه فى قعر النهر، فهو يضبط سـير السـفينة فى طريقها. وعندهم من هذه السفن أعداد غفيرة، ويحمل بعضها آلافا عديدة من الطالنطات.

٩٧ وحينمـا يغمـر النيل البلاد، تبدو المدن وحدها فوق الماء وتكون شـبيهة بعض الشىء بالجزائر التى فى بحر إيجه، ويصبح سائر أجزاء مصـر بحرا، وتكون المدن وحدها فوق الماء. وحينما يحدث هذا لا يلتزم المصريون مجرى النهر، بل ينتقلون فى مراكبهم فى وسـط السهل، فإذا صعَّـدت فى النهر من مدينة نوقراطيس إلى منف يكون سـيرك بجانب الأهرام نفسـها. وليس هذا هو الطريق العادى، بل الطريق العادى يسير بجـوار رأس الدلتا وبجوار مدينة كركاسـوروس. وإذا أبحرت من البحر فالفـرع الكانوبـى إلى مدينة نوقراطيس عبر السـهل، وصلت إليها مارا بمدينة أنثيللا والمدينة التى تسـمى – نسـبة إلى أرخاندروس – «مدينة أرخاندروس».

٩٨ أمـا أنثيللا فمدينة ذات شـأن وقد عزلـت وأعطيت لزوج من يكون جالسـا على عرش مصر لمشـترى أحذيتها. ولقد ساد هذا التقليد

منـذ العصر الذى خضعت فيه مصر لفارس. أمـا المدينة الثانية فيخيل إلىَّ أنهـا أخذ اسمها من ختن دنـاؤس وهو أرخاندروس بن فيثيوس بن أخيوس، إذ أنها تسمى مدينة «أرخاندروس». ولعله قد كان هناك رجل آخر يسمى أرخاندروس، ولكن الاسم على أية حال ليس مصريا.

٩٩ لقد ذكرت إلى الآن مشـاهداتى الخاصة وآرائى وأبحاثى ولكنى أبدأ من الآن بذكر الروايات المصرية كما سمعتها وسـأضيف إليها شـيئا من مشاهداتى الخاصة كذلك.

أخبرنـى الكهنة أن مينا كان أول من تـولى ملك مصر وإنه هو الذى أوجـد موقع منف بتحويـل مجرى النهر، فقـد كان النهر كله يجرى ناحية الهضبة الرملية فى الجانب الليبى. ولكن مينا - بادئا من أعلى- كوّن بوساطة السدود الحنية التى تقع إلى الجنوب من منف بمقدار مائة سـتاد، وهكذا جفف المجرى القديم. هذا فـى حين أنه احتفر مجرى جديدا للنهر حتى ينسـاب فى طريق وسـط بـين الهضبتين. (ولا تزال حنية النيل هذه التى تكونت بتحديد مجراه بالسدود باقية إلى الآن، ولا يزال الفرس إلى الآن يوالون حنية النيل هذه التى تكونت بتحديد مجراه بالجسور بالعناية الفائقة، ولا يزالون يدَّعمون جوانبها كل عام، لأنه إذا اجتاح النهر الجسـور فى هذه المنطقـة، لأصبحت منف كلها فى خطر مـن الغرق.) وبعد أن تهيـأت لمينا وهو أول ملك للبلاد هذه الرقعة التى جفت بعد حبس الماء عنها، أنشأ فيها تلك المدينة التى تدعى الآن منف (ذلك أن منف ليست فى الدلتا بل فى وادى النيل). وحفر - بادئا من

النهر – بحيرة خارج المدينة متجهة إلى الشمال والغرب، (النيل نفسه يحدّها من ناحية الشرق)، ثم أقام فى المدينة معبد هيفايستوس وهو ضخم وجدير بالذكر.

**١٠٠** ولقد قرأ لى الكهنة من دَرْج بردى أسماء ثلثمائة وثلاثين ملكا آخرين بعد مينا. وكان بين كل هذه الأجيال من الرجال، ثمانية عشر ملكا من الأحباش وامرأة واحدة من أهل البلاد، أما سائر الملوك فكانوا مصريين. أما اسم المرأة التى كانت ملكة فكان مثل اسم الملكة البابلية تماماً: نيتوكريس. وقالوا لى إنها أهلكت الكثيرين من المصريين بخدعة لتثأر لأخيها الذى كان ملكا على المصريين وقتلوه وولوها المملكة بعد أن قتلوه. فقد ابتنت بهوا رحيبا تحت الأرض، وأعلنت قائلة إنها تفتتحه ولكنها فى السر كانت تدبر أمرا آخر. دعت إلى وليمة جمعا غفيرا من المصريين ممن كانت تعلم أن لهم على الخصوص يدا فى الجريمة، وأطلقت عليهم أثناء تناولهم الطعام ماء النهر من أنبوبة واسعة خفية. هذا هو كل ما قالوه لى عن هذه الملكة، فيما عدا أنها عندما أتمت الجريمة قذفت بنفسها فى غرفة مليئة بالرماد حتى تُعفى من العقاب.

**١٠١** ولم يذكروا لى عملا من الأعمال المجيدة قام به واحد من الملوك الآخرين، أو أن أحدهم كان ذا نصيب من الشهرة إلا آخرهم وهو موريس، فقد خلف هذا بمثابة تذكار لحكمه بهو معبد هيفا يستوس الذى يتجه إلى الشمال. واحتفر بحيرة سأبين طول محيطها مقيسا بالاستاد فيما بعد، وابتنى فيها أهراما سأذكر أبعادها فى معرض

الحديث عن البحيرة نفسها. هذه هى الآثار التى خلفها هذا الملك ولم يخلف واحد من الآخرين شيئا.

**١٠٢** وإنى سأضرب صفحا عن هؤلاء، وسآتى على ذكر الملك الذى تلاهم واسمه سيسو ستريس[١]. قال الكهنة إنه أولا أقلع بسفن حربية من الخليج العربى وهزم القوم الذين يسكنون على سواحل البحر الأحمر، وأنه واصل إبحاره قدما إلى أن وصل إلى منطقة فى البحر لم يعد البحر يصلح فيها للملاحة لضحولته. وبعد ذلك رجع ثانية إلى مصر. وحشد بحسب رواية الكهنة جيشا كبيرا وقاده مخترقا القارة، وهزم كل الشعوب التى كانت فى طريقه وكلما قابل منهم قوما شجعانا يتشبثون بصرامة بحريتهم أقام فى بلادهم أعمدة عليها نقوش تبين اسمه ووطنه وكيف أنه هزمهم بقوته. أما إذا لم تقاوم المدن وأخذت بسهولة، كتب على الأعمدة التى يقيمها عندهم بنفس الأسلوب الذى اصطنعه فى حالة الشجعان وأضاف إلى النقش عورة امرأة، يريد أن يبين بذلك أنهم كانوا جبناء.

**١٠٣** وعلى هذا النحو عبر القارة وجاوز آسيا إلى أوروبا وهزم السكيثيين[٢] والتراقيين. وهذه الجهات كانت فيما أعتقد أقصى ما وصل إليه الجيش المصرى، فمع أن الأعمدة ترى قائمة فى بلاد هذه

(١) هو سنوسرت الثالث من فراعنة الأسرة الثانية عشر (١٨٦٠ ق. م تقريبا) وقد تضخمت شخصيته فى مخيلة الشعب فعزا إليه كثيرا من أعمال الفراعنة الآخرين.

(٢) هم قبائل متعددة فى جنوب روسيا، وليس من المحقق أنهم آريون أم مغوليون ولقد اندثر هذا الجنس كله الذى ذكر كثيرا فى التاريخ القديم، دون أن يترك أثرا واحدا فى تاريخ الحضارة الإنسانية.

الأقـوام فإنها لا تـرى أبعد من ذلك. وبعد ذلك تحـوَّل وقفل راجعا. ولا يمكننـي أن أقرر على وجه الدقـة ماذا حدث بعد ذلك عندما وصل إلى نهر فاسـيس، هل فصل الملك سيسوستريس جزءا من جنده وتركهم ليسـتوطنوا تلك البلاد، أم أن طائفة من الجند أنهكتها الرحلة فتخلفت بالقرب من نهر فاسيس؟

١٠٤ ذلـك أنه من الجلي أن الكولخيين مصريون. وإني قد فطنت إلى الرأى الذى أذهب إليه الآن بنفسى قبل أن أسمعه من الآخرين. ولما خطر هذا الرأى فى بالى استجوبت كلا الشعبين وعلمت أن الكولخيين يذكـرون المصريـين أكثر مما يذكـر المصريون الكولخيـين، هذا مع أن المصريـين يرون أن الكولخيـين كانوا جزءا من جيش سيسوسـتريس. ولقـد خمنـت أن الأمر كذلـك لا لأن الكولخيين سُمر البشـرة وجعاد الشـعر فحسـب، فذلك لا يهدينا إلى شـيء لأن غيرهم من الناس على هذا الوصف أيضا، ولكن لحجة أعظم، وهى أن الكولخيين وحدهم مع الأحباش والمصريين دون سـائر البشر مارسـوا عادة الختان منذ البدء. فالفينيقيون والسـوريون فى فلسطين يقررون هم أنفسهم أنهم عرفوا هذه العادة من المصريين، هذا فى حين أن السـوريين الذين يعيشـون حول نهرى ثرمودون وبارثينيوس، والماركرونيين [1] الذين يجاورونهم يقررون أنهم تعلموا هذه العادة حديثا عن الكولخيين. وهؤلاء وحدهم هم الذين يختتنون. والظاهر أنهم يمارسـون هذه العادة وفقا لسُـنّة المصريين. أما عـن الأحبـاش والمصريين، فلا يمكننى أن أقرر أيهمـا أخذ العادة عن

(١) هم قبيلة فى الجنوب الشرقى من البحر الأسود بالقرب من طرابيزون.

الآخـر، فمن الجلى أنها عادة قديمة جدا.أما أن الشـعوب الأخرى قد تعلمـت هذه العـادة باتصالها بمصر، فلدى عليه دليـل قاطع وهو أن الذين يتصلون باليونانيين من الفينيقيين لا يقلدون المصريين بل يتركون أولادهم بلا ختان.

١٠٥ دعنى الآن أتحدث إليك بعادة أخرى يشبهون فيها المصريين، فهـم والمصريون فقـط يصنعون التيل وذلك بطريقـة واحدة بعينها. وهم يتشابهون فى أسلوب حياتهم كله وفى لغتهم. ويسمى اليونانيون التيل الكولخى [١] التيل السـاردينى أما التيل الذى يأتيهم من مصر فيسمونه التيل المصرى.

١٠٦ وبالرغم من أن أكثر ما أقامه الملك سيسوستريس من أعمدة فى الأقطار لم تعد قائمة بعد، فقد رأيت بنفسـى فى فلسـطين أعمدة قائمة عليها النقوش التى ذكرتها وكذا عورة المرأة. ويوجد فى أيونيا تمثالان[٢] لهذا البطل منحوتان فى الصخر أحدهما فى الطريق المؤدية من أفسـوس إلى فوكايا والآخر فى الطريق المؤدية من سـارديس إلى سميرنا، والتمثال المحفـور فى كلا الحالين لرجل ضخم طوله أربع أذرع ونصف ممسـكا بحربة فى يده اليمنى وبقوس فى يده اليسـرى، وسـائر عدته على هذا النحو، فهى مصرية وحبشـية. ويمتد بعرض الصدر من كتف إلى كتف نقـش محفور باللغة المصرية المقدسـة يقول «لقد فتحـت هذا البلد بقوة كتفى». وهو لم يبين هنا من أى بلد جاء فقد أوضح ذلك فى موضع آخر.

(١) الكولخيون قبيلة كبيرة كان موطنها الشاطئ الشرقى من البحر الأسود.

(٢) كشفت الحفائر عن التمثالين فى كرابل ولكنهما ليسا صناعة مصرية، بل من صناعة الحيثيين.

ويظن بعض من رأوهما أن التمثال لمنون [1] ولكنهم يحيدون فى ذلك عن الحق كثيرا.

١٠٧ ولما كان سيسوستريس المصرى هذا راجعا وقد أحضر رجالا كثيرين من الشعوب التى كان قد غزا أراضيها، حدث فيما قال الكهنة إنه عندما حط رحاله فى دافنای البيلوزية أن دعاه أخوه – وقد كان سيسوستريس قد عهد إليه فى أمر مصر – إلى وليمة ودعا معه أولاده، ووضع حطبا حول البيت، وبعد أن وضع الحطب أشعل فيه النار. فلما علم سيسوستريس بهذا الأمر شاور امرأته على الفور، إذ إنه كان قد أحضر امرأته معه أيضا.فأشارت هى عليه بأن يضع ولدين من أولاده الستة على النار فيكونا بمثابة قنطرة فوق الحطب المشتعل، حتى ينجوا هم بالمرور فوقهما. وقد فعل سيسوستريس هذا، واحترق اثنان من أبنائه على هذا النحو أما الباقون فقد نجوا مع أبيهم [2].

١٠٨ وبعد أن رجع سيسوستريس إلى مصر وثأر من أخيه استخدم الجمع الغفير الذى أحضره معه وكان قد أخضع بلادهم فيما يلى: فهم الذين جروا الحجارة التى نقلت فى عهد هذا الملك إلى معبد هيفايستوس وقد كانت بالغة الحجم، وهم الذين حفروا مسخرين جميع القنوات التى توجد الآن فى مصر. وهكذا جعلوا – بغير رضاهم– من مصر التى كانت

(١) هو ابن إيوس إلهة الفجر وملك الحبشة وقد خلط اليونانيون بينه وبين أمينوفيس الثالث أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة. وفسروا الأنغام التى يطلقها التمثال فى الفجر بأنها تحية ممنون لأمه إلهة الفجر.

(٢) ليس للقصة أساس من الصحة على التحقيق، ولكن مصدرها على الأرجح هو صورة الفرعون المنتصر، إذ كان يرسم وقد وطأ بقدميه رجلين يمثلان أعداءه السوريين والنوبيين.

مـن قبل بلادا تقطعها الخيول والعجـلات بلاد خالية منها. فمنذ ذلك الوقـت أصبحت مصر كلها – بالرغم من أنها بلادا مسـطحة – خالية من الخيل والعجلات. والسـبب فى ذلك هى القنوات فهى كثيرة ذاهبة فى جميع الجهات. ولقد شـق هذا الملـك الترع فى البلاد لأن المصريين الذين كانوا يقطنون مناطق لا تقع على النهر بل تقع فى داخلية البلاد، كانوا كلما انحسر النهر فأعوزتهم المياه يتعاطون ماء صالحا بعض الشىء يستنبطونه من الآبار. لهذا السبب إذن شُقَّت الترع فى مصر.

١٠٩ وقال الكهنة إن هذا الملك قد قسـم البلاد بين جميع المصريين فأعطى لكل فرد مسـاحة مربعة متسـاوية، وأنـه قد حصل على دخله مـن هذا المصدر لأنـه أمرهم بأداء الضريبة سـنويا. فإذا أكل النهر جزءا من المسـاحة المقررة لأحد النـاس، ذهب من فوره إلى الملك، وبين له ما حدث، وكان الملك يرسل رجالا يعاينون الأرض، ويقيسون المقدار الذى نقـص منها، حتى يدفع مـن الضريبة المقررة ما يتكافـأ مع الباقى من الأرض. ويخيل إلى أن هذا أصل اكتشـاف علم المساحة، وأنه انتقل من مصر إلى بلاد اليونان. أما السـاعة الشمسـية والمزولة وتقسيم النهار إلى اثنى عشر قسما فأشياء تعلمها اليونانيون عن البابليين.

١١٠ وهـذا الملك هو الملك المصرى الوحيد الذى حكم الحبشـة وقد خلـف تذكارا لعهده التماثيل الحجرية القائمة أمام معبد هيفايسـتوس. وهى مؤلفة من تمثالين لنفسه ولزوجه طول كل منهما ثلاثون ذراعا [1]،

(١) وجد تمثالان بهذا الوصف فى معبد بتاح فى ميت رهينة، طول أحدهما ١٣ مترا ولعل هذا هو التمثال الذى رآه هيرودوت وقرر أن طوله ثلاثون ذراعا أى ١٥ مترا تقريبا.

وتماثيل لأبنائه الأربعة طول كل منها عشرون ذراعا ولم يسمح كاهن هيفايستوس بعد ذلك بأمد طويل لدارا الفارسى أن يقيم تمثاله أمامها محتجا بأن دارا لم يقم بأعمال جليلة مثل ما قام به سيسوستريس المصرى. فمع أن سيسوستريس قد قهر شعوبا لا تقل عما قهر دارا، فإنه إلى جانب ذلك، قد قهر الاسكيثيين فى حين أن دارا لم يستطع أن يقهرهم. فلم يكن إذن من العدل أن يقام تمثاله أمام تمثال سيسوستريس مع أنه لم يبزه فى الأعمال. وهم يقولون إن دارا قد أذعن لرأى الكاهن.

١٧٧ ولما قضى سيسوستريس نحبه، خلفه على العرش فيما يقولون ابنه فيروس[1] وهذا لم يقم بحملة حربية واحدة، وقد حدث أن أصيب بالعمى من جراء الحادثة التالية: جاء النهر فى ذاك الوقت بفيض أعظم مما جاء به من قبل حتى بلغ ارتفاعه ثمانى عشرة ذراعا، ولما فاض النهر على الحقول، هاج الريح وماج النهر. حينئذ تناول الملك، وقد تملكه السخط، رمحا وألقى به فى وسط تيارات النهر، فأصيب بعد ذلك مباشرة بمرض فى عينيه وعمى، وظل أعمى عشر سنوات. وفى السنة الحادية عشرة. جاءه الوحى من مدينة بوطو معلنا أن مدة عقوبته قد انتهت، وأنه سوف يبصر بعد أن يغسل عينيه ببول امرأة لم يكن لها قط اتصال برجل غير زوجها. جرَّب فيروس امرأته أولا ولكنه لم يبصر. وبعد ذلك جرب جميع النساء الواحدة بعد الأخرى، وبعد أن أبصر جمع كل النساء اللائى جربهن، ماعدا تلك المرأة التى أبصر بعد الاغتسال ببولها، فى مدينة واحدة وهى التى تسمى الآن «الطمى الأحمر». وبعد أن

(١) ليس ذلك اسما وإنما هو فى أغلب الظن تحريف اللقب «فرعون».

ساقهن إلى المدينة أحرقهن جميعا والمدينة كذلك. أما المرأة التى أبصر بعد الاغتسال ببولها، فقد اتخذها زوجا لنفسه. ولقد أقام لخلاصه مما أصاب عينيه نصبا فى كل المعابد الشهيرة أحقها بالذكر المسلتان الحجريتان الجديرتان بالمشاهدة، اللتان أقامهما فى معبد الشمس وقد اتخذت كل منهما من حجر واحد. وطول الواحدة مائة ذراع وعرضها ثمانى أذرع.

١١٢ وخلفه على العرش فيما قالوا رجل من منف اسمه فى اللغة اليونانية بروتيوس [١] وله فى منف حرم بالغ الأناقة حسن الزينة، قائم فى جنوب معبد هيفايستوس. ويقيم حول هذا الحرم فينيقيون من صور وتسمى هذه المنطقة كلها «معسكر الصوريين».

ويوجد فى حرم برُوتيوس معبد يسمى معبد أفروديت المغتربة، وإنى أستنتج أن هذا المعبد كان معبد هيلين ابنة تينداروس وذلك لما سمعته من أن هيلين كانت تعيش مع بروتيوس، ولأن المعبد يسمى معبد أفروديت المغتربة، مع أنه من بين سائر معابد أفروديت لا يسمى معبد غير هذا معبد أفروديت المغتربة.

١١٣ ولما سألت الكهنة أخبرونى أن هذه هى قصة هيلين: «قالوا إن الإسكندر [٢] بعد أن خطف هيلين من إسبرطة، كان يمخر البحر إلى بلده، وحينما كان فى بحر إيجه، طوحت به رياح جارفة إلى البحر المصرى وحيث إن الرياح لم تسكن فقد وصل إلى شاطئ مصر، ومنه إلى

(١) ورد ذكر بروتيوس فى هوميروس باعتباره أحد آلهة البحر قابع عند الشاطئ المصرى (الأوديسية ٤: ٣٨٥ وما بعده).

(٢) هو الابن الثانى لبرياموس ملك طروادة وزوجه هيكوبا، ويعرف على الأكثر باسم باريس، وقد خطف هيلين من إسبرطة وكان سببا فى إشعال نار الحروب الطروادية، (١١٩٢ - ١١٨٣ ق.م).

ما يسمى الآن بفرع النيل الكانوبى والملاحات. وكان يقوم فوق الشاطئ – ولا يزال قائما إلى الآن – معبد لهرقل إذا احتمى فيه عبد أى من الناس، ووسم نفسه بالعلامات المقدسة، واهبا نفسه للإله، لم يحل مسه لأحد. ولقد ظلت هذه السُنّة نافذة كما هى منذ البدء إلى زمانى هذا. ولما علم خدم الإسكندر بالسُنّة المتبعة فى هذا المعبد، تخلوا عنه، وجثوا ضارعين، وشكوا الإسكندر للإله بغية إيذائه ورووا كل ما حدث من أمر هيلين والجرم المقترف فى حق مينيلاوس. وقدموا هذه الاتهامات إلى الكهنة وإلى حارس الفرع وكان اسمه ثونيس [1].

**١١٤** فلما سمع ثونيس بهذه الأنباء، بعث بأسرع ما استطاع برسول إلى بروتيوس فى منف يقول «وصل رجل أجنبى تيوكرى الجنسى بعد أن اقترف جرما إدّا فى بلاد اليونان، ذلك أن الأجنبى اغتصب زوج مضيفه نفسه وأخذها وجاء ومعه أموال جد طائلة. وقد طوحت به الرياح إلى بلادك، فهل ندعه يقلع سليما معافى أم نجرده مما جاء به؟». ورد بروتيوس على هذا السؤال برسالة يقول فيها «مهما يكن هذا الرجل الذى ارتكب ذلك الجرم فى حق مضيفه أقبضوا عليه وأرسلوه إلى حتى أرى ما عساه أن يقول».

**١١٥** فلما سمع ثونيس هذا قبض على الإسكندر وأمسك مراكبه، ثم ساق الإسكندر وهيلين والأموال فضلا عن العبيد الضارعين كذلك إلى منف، فلما مثلوا فى حضرة بروتيوس، سأل الإسكندر من يكون ومن أى

(١) يقول ديودور الصقلى إن ثون أطلق اسمه على مدينة ثونيس وهى ميناء تجارية على الفرع البر كانوبى من النيل. ك. ١: ١٩.

مكان أقلع، فسرد له الإسكندر نسبه، وذكر اسم وطنه، وروى بالتفصيل رحلته من المكان الذى أقلع منه.

وبعد ذلك سأله بروتيوس من أين جاء بهيلين، فلما لم يلتزم جادة الصدق ولم يقل الحقيقة كذبه الذين كانوا يضرعون ورووا قصة جريرته بحذافيرها وأخيرا أعلن لهم بروتيوس رأيه قائلا «لو لم أكن أعلق أهمية كبيرة على ألا أقتل أحدا من الأجانب الذين تطوح بهم الرياح ويأتون إلى بلادى، لأنزلت بك القصاص ثأرا لليونانى. فإنك يا أدنأ الرجال، بعد أن تمتعت بحسن الضيافة ارتكبت عملا فى غاية الشناعة والحطة بأن تهجمت على زوج مضيفك نفسه، هذا إلى أن ذلك لم يكفك بل أطرت لبها وهربت معها بعد أن سرقتها كاللص. ولم يكفك هذا كله بل أنك سطوت على بيت مضيفك قبل أن تغادره. والآن فحيث إننى أعلق أهمية كبيرة على عدم قتل الأجانب، فلن أدعك تأخذ معك هذه المرأة والأموال، بل سأحتفظ بهم لمضيفك اليونانى إلى حين يشاء هو أن يأتى لاستردادها، أما أنت ورفقاؤك فإنى أعلنكم بمغادرة بلادى إلى غيرها فى ظرف ثلاثة أيام، فإن لم تفعل، فسأعاملك معاملة العدو».

١١٦ تلك إذن هى قصة وصول هيلين إلى بروتيوس فيما يقول الكهنة، وإنى أعتقد أن هوميروس كان على علم بهذه الرواية أيضا، ولكن حيث إنها لم تكن مناسبة لشعر الملاحم مثل الرواية الأخرى التى أخذ بها، فقد أهملها، ولقد أوضح أنه كان على علم بهذه الرواية أيضا. هذا جليٌ، ذلك بأنه جعل طواف الإسكندر فى الإلياذة تبعا لهذه الرواية

(وهـو لم يراجع نفسـه فيما ذهب إليه فـى أى موضع آخر) إذ قال إن الإسـكندر بعد أن صحب هيلين جِيد به عن طريقه، وبعد أن هام على وجهه فى غير طريقه المرسـومة وصل آخـر الأمر إلى صيدا فى فينيقية. وهو يذكره فى قصة «بسالة ديوميديس[1]» حيث تقول الأبيات:

**«وكانت هناك الأثواب المتنوعة التطريز، صنع عقائل صيدا»**
**«اللائى ساقهن الإسكندر، شبيه الإله نفسه، من صيدا ماخراً»**
**«البحر الفسيح. وسالكا نفس السبيل التى ساق فيها هيلين»**
**«الكريمة المحتد»**

وذكرها أيضا فى الأوديسية فى الأبيات التالية:[2]

**«وكان لابنة زيوس عقاقير ماهرة التحضير مفيدة أهدتها لها»**
**«بوليدامنا زوج ثون المصرية فالحقول الخصبة تنتج عقاقير كثيرة»**
**«كثير منها مفيد إذا خلط، وكثير منها مضر»**

وفى البيتين التاليين أيضا يخاطب مينيلاوس تليماخوس-قائلا:

**«وفـى مصر أمسـكتنى الآلهة، ولو أننى كنت شـديد الشـوق إلى الرجوع إلى هنا لأننى لم أضح لها بمائة ثور كاملة[3]»**

يبين هوميروس فى تلك الأبيات أنه كان على علم تام برحلة الإسكندر إلى مصر، لأن سـوريا تقع على حدود مصر، ولأن الفينيقيين وصيدا من بلدانهم، يقطنون سوريا.

---

(١) هذا هو عنوان الكتاب الخامس من الإلياذة. والسـطور المقتبسة من الكتاب السادس ٢٨٩ – ٢٩٢، ولكن تقسيم الإلياذة إلى كتب يرجع إلى زينودوتوس فى القرن الثالث ق.م.

(٢) الأبيات من الأوديسية الكتاب الرابع ٢٢٧ – ٢٣٠.

(٣) الأوديسية الكتاب الرابع ٣٥١ – ٣٥٢.

١١٧ يتضح من هذه الأبيات وعلى الخصوص الأخيرة أن «الملحمة القبرصية» [1] ليست لهوميروس بل لشاعر آخر. فقد جاء فى القصيدة القبرصية أن الإسكندر وصل إلى طروادة فى اليوم الثالث من رحيله من إسبرطه مع هيلين، إذ صادف ريحا مواتيا وبحرا هادئا. هذا فى حين أنه يقول فى الإلياذة إنه هام معها على وجهه. والآن فالوداع لهوميروس وللملحمة القبرصية.

١١٨ ولما سألت الكهنة عما إذا كانت الرواية التى يقصها اليونانيون عن طروادة لا طائل تحتها أم لا، أجابوا – مؤكدين أنهم استقوا معلوماتهم من استوضاح مينيلاوس ذاته – قائلين إنه بعد سرقة هيلين، ذهبت إلى أرض تيوكريس قوة كبيرة مؤيدة لمينيلاوس. وبعد أن وصل الجيش إلى البر وعسكر فى معسكراته، أرسلوا إلى طروادة سفراء وكان بينهم مينيلاوس نفسه.

ولما نفذ هؤلاء داخل أسوار المدينة طالبوا بهيلين والأموال التى كان الإسكندر قد سرقها قبل رحيله، وطالبوا بتعويض عما لحقهم من أضرار. أما أهل تيوكريس فقد قالوا إن لا هيلين ولا الأموال المطلوبة فى حوزتهم، بل إنها كلها فى مصر، وأنه ليس من العدل أن يؤدوا هم تعويضا عن أشياء فى حوزة بروتيوس الملك المصرى. وأصروا على هذا القول عينه فى ذلك الحين وفيما بعد، وأطلقوه مؤيدا بقسم وبغير قسم. وتخيل

(١) كانت الملحمة القبرصية مؤلفة من سبعة كتب. ولم يبق منها إلا مقطوعات قليلة. وهى تنسب أحيانا إلى الشاعر ستاسيموس القبرصى الذى عاش حوالى سنة ٧٠٠ ق. م.

اليونانيون أنهم يغررون بهم وهكذا حاصروا المدينة إلى أن اغتصبوها. ولما استولوا على أسوار المدينة ولم تظهر هيلين بل جوبهوا بنفس القصة التى قيلت لهم من قبل، تأكدوا من صحة القصة السابقة وأوفدوا مينيلاوس ذاته إلى بروتيوس.

**١١٩** وعندما بلغ مينيلاوس مصر وأبحر إلى منف ذكر حقيقة الأمر، ولاقى إكراما بالغا، واستلم هيلين دون أن يمسها ضرٌ فضلا عن كل أمواله. وبالرغم مما لاقاه مينيلاوس فى مصر من حسن الضيافة فقد كان ظالما للمصريين. ذلك أنه كان شديد الرغبة فى السفر فعاقه نوء شديد. ودام النوء وقتا طويلا، فدبر أمرا حراما، ذلك أنه أخذ ولدين لرجلين من أهل البلاد وجعلهما ضحية استرضاء. ولما ظهر أنه ارتكب ذلك الأمر، كرهه المصريون وطاردوه، فاستقل مركبا وهرب على عجل إلى ليبيا. ولم يكن فى وسع المصريين أن يقرروا إلى أين اتجه بعد ترك ليبيا. وقد قالوا إنهم عرفوا بعض هذه الحقائق بالبحث، وأنهم يتحدثون فى البعض الآخر عن علم يقين لأنها وقعت فى بلادهم.

**١٢٠** هذا إذن ما رواه كهنة المصريين. وإنى شخصيا أوافق على روايتهم فيما يتعلق بهيلين للاعتبار التالى: لو أن هيلين كانت فى طروادة لرُدّت إلى اليونانيين رضى الإسكندر أو لم يرض. فمن المؤكد أنه لا بريامـوس ولا الآخرون من أقاربه كانوا معتوهين إلى حدٍّ أن يرضوا بالمجازفة بحياتهم وحياة أبنائهم ليعاشر الإسكندر هيلين. وإذا سلمنا بأنهم رضوا بذلك فى المراحل الأولى من الحرب، فإنه حينما كان يُقتل الكثيرون من سائر الطرواديين كلما التحموا باليونانيين، وحينما كان

يمـوت فـى كل مرة تقع فيها الموقعة، اثنـان أو ثلاثة أو أكثر من أبناء بريامـوس (إن جاز لأحد أن يلقى القول اعتمادا على شعراء الملاحم) فإنى أعتقـد شـخصيا أن بريامـوس كان فى مثل هـذه الظروف يرد هيلين إلى الأخائيين إن كان يسـتطيع بذلك أن يتخلص من متاعبه الملازمة. حتى إذا كان هو نفسـه يعاشـر هيلين. لا، ولم يكن ذلك لأن المملكة سـتئول إلى الإسـكندر وكانت مقاليد الأمـور فى يديه لأن بريامـوس كان قد صار شـيخا، فإن هيكتور كان أكبر من الإسـكندر، وكان رجلا أفضل منه، وكان علـى وشـك تولى الملك بعد بريامـوس. ولم يكـن ينبغى لهكتور أن يحبِّـذ أخاه فى خطأه خصوصـا وأن مصائب فادحة قد انتابت هيكتور شخصيا، وسائر الطرواديين عامة، من جرائه.

ولكن الواقع أن هيلين لم تكن عندهم ليردوها، ولا صدّقهم اليونانيون حينما قالوا لهم الحقيقة ولقد كان ذلك، وإنى هنا أبدى رأيى الخاص، إن كل هـذا من تدبير الإلـه حتى يهلكوا هلاكا ذريعـا فيُظهروا لكافة النـاس بذلك أنه إذا كانت الجرائم كبـيرة كانت العقوبات التى تنزلها الآلهة كبيرة كذلك.

**١٢٣** أورث بروتيـوس الملكة – فيما قال الكهنة لرامبسـينيتوس[1] الـذى خلف تـذكارا لعهده بوابة معبد هيفايسـتوس التـى تتجه نحو الغـرب، والتمثالين اللذان أقامهما أمام هـذه البوابة، وطول كل منهما خمس وعشـرون ذراعا. ويسـمى المصريـون التمثال القائـم ناحية شمال

(١) هو فيما يظهر رمسيس الثالث (١١٩٨ – ١١٦٧ق.م) من الأسرة الثانية والعشرين، وقد اشتهر بضخامة ثروته.

«الصيف»، والتمثال القائم ناحية الجنوب الشتاء. أما التمثال المسمى الصيف فيكرمونه ويجلونه، أما التمثال المسمى «الشتاء» فيعاملونه بالعكس. ويقال إنه قد تجمعت لهذا الملك ثروة طائلة من المال، ولم يستطع واحد ممن خلفوه على الملك فيما بعد أن يبزه أو أن يداينه فى ذلك. ولما كان حريصا على كنز هذه الأموال فى أمان فقد ابتنى خزانة من الحجر تمتد إحدى حوائطها إلى الجدار الخارجى للسراى. ولكن البنَّاء لجأ إلى الحيلة الآتية، لغرض خبيث فى نفسه. فقد هيأ الحجارة بحيث كان يمكن لرجلين أو حتى لرجل واحد أن ينزع إحداها بسهولة من الحائط. ولما كملت الخزانة، كنز الملك أمواله فيها، وبعد انقضاء ردح من الزمن، وكان البنَّاء قد قارب نهاية الحياة، استدعى أولاده، فقد كان له ولدان، وشرح لهما بإيضاح طريقة نزع الحجر بأكملها، وأعطى لهما أبعاده، وقال لهما إنهما إذا احتفظا بالأمر سرا، فسيصبحان الأمينين على خزائن الملك. ولما انتهت حياة الأب، لم ينتظر ابناه طويلا قبل أن يبدءا فى العمل، وذهبا إلى السراى ليلا، فوجدا الحجر بسهولة فى الجدار، فنزعاه وحملا قدرا كبيرا من الأموال. واتفق أن فتح الملك الخزانة، فدهش عندما رأى حوافظ الأموال متضائلة، ولكنه لم يستطع أن يوجه اللوم إلى أحد، لأن الأختام كانت فى مواضعها والخزانة مغلقة. ولما فتح الخزانة مرة ثانية وثالثة ظهر له أن الأموال كانت فى كل مرة أقل مما كانت فى المرة السابقة، ذاك أن اللصين لم يتراخيا فى السرقة. فلجأ الملك إلى حيلة بأن أمر بصنع شراك ووضعها

بجانب الجرار التى وضعت فيها الأموال. وذهب اللصان إلى الخزانة كما اعتادا فى الزمن السابق. ولما دخل أحدهما الخزانة، وقرب من الجرار وقع من توه فى إحدى الشراك. وأدرك فى أية حالة من البؤس هو. فدعا أخاه على الفور وأطلعه على ما حدث له، وأمره أن يدخل بأقصى سرعة ويقطع رأسه، لئلا تعرف شخصيته حينما يوجد، فيكون فى ذلك القضاء على الثانى أيضا. ورأى الثانى أن هذا الاقتراح حسن، فاقتنع وأخذ به. وأعاد الحجر إلى مكانه ورجع إلى بيته حاملا رأس أخيه. فلما طلع النهار، دخل الملك الخزانة، ودهش عندما رأى جثة اللص فى الشرك دون رأس، مع أن الغرفة كانت سليمة وليس فيها أثر دخول أو خروج البتة. ولجأ الملك فى حيرته إلى الحيلة الآتية: علّق جثة اللص من فوق الحائط، وأمر الحراس الذين وكل إليهم أمر حراستها أن يقبضوا على من يرونه باكيا أو نادبا. ولما علقت الجثة حزنت الأم حزنا شديدا وساقت الحديث إلى ابنها الباقى، وأوصته بأن يحتال بأى وسيلة استطاع حتى يفك جثة أخيه وينقلها. وأنذرته إن هو أهمل وصيتها أن تذهب إلى الملك، وتخبره بأن الأموال فى حوزته. واستمرت الأم فى مُرِّ تأنيبها لابنها الباقى، ووجه إليها هذا كلاما كثيرا فلم يستطع إقناعها. فلجأ إلى الحيلة الآتية: جهز حميرا وزقاقا ملأها بالنبيذ، ووضعها على ظهور الحمير وساقها. ولما واجه المكان الذى فيه الحراس الذين يحرسون الجثة المعلقة شد الزقاق إليه، وفك اثنتين أو ثلاثا من رقاب الزقاق المربوطة، ولما بدأ النبيذ يسيل أخذ يضرب

رأسه ويصيح عاليا، كأنه لا يدرى إلى أى الحمير ينصرف أولا. ولما رأى الحراس النبيذ يسيل مدرارا، جروا جميعا إلى الطريق حاملين أوانى وملأوها من النبيذ المتدفق حاسبين الخمر غنما. أما هو فتصنّع الغضب وسبهم أجمعين. ولما جعل الحراس يواسونه، تصنع كأنه قد هدئ بعد حين وأن غضبته قد خمدت. وأخيرا ساق الحمير من الطريق، وجعل يصلح من شأنها. وجرى بينهم سمر طويل، ومزح معه الحرّاس حتى إنهم دفعوه إلى الضحك، فأعطاهم إحدى الزقاق. وعقد الحراس النية على الجلوس والشرب دون احتفال واستضافته. فطلبوا إليه أن يبقى معهم ويشاركهم فى الشرب. فوافق هو بالطبع وبقى وبينما هم يشربون حبوه ببشر فأعطاهم واحدة أخرى من الزقاق أيضا. وبعد أن تعاطى الحراس خمرا كثيرا، صرعهم السكر، وغلبهم النوم، فناموا حيث كانوا يشربون. أما هو، فلما تقدم الليل، فك جثة أخيه، وحلق الجانب الأيمن من ذقون جميع الحراس على سبيل السخرية، ووضع الجثة على ظهور الحمير وساقها إلى منزله، وقد أدى ما أوصت به أمه.

وقد اغتاظ الملك غيظا عظيما حينما حمل إليه النبأ بأن جثة اللص قد سرقت، وأراد أن يقع قبل كل شىء على الرجل الذى دبّر ذلك. فلجأ إلى الحيلة الآتية فيما يقولون، ولو أننى لا أصدقها. وضع ابنته فى ماخور وأمرها بأن تستقبل كل من يأتيها على السواء، وأن تجعل كل واحد يقص عليها أدهى وأخبث ما صنع فى حياته. فإذا روى لها أحد ما حدث فى أمر اللص تمسك به ولا تدعه يفلت. ولما نفذت الابنة ما صدر عن أبيها من أوامر، تصرف اللص على النحو التالى فقد كان

يعلـم الأغراض التى صنع الملك ذلك من أجلها، وكان يريد أن يبز الملك فى المكر: قطع ذراع جثة حديثة الموت من الكتف، وذهب إليها حاملا إياهـا تحت ردائه ولما دخل على ابنة الملك وجهت إليه السـؤال الذى توجهـه إلى الآخرين، فقـال لها إن أخبث ما صنع هو قطع رأس أخيه عندما وقع فى شرك فى خزانة الملك. أما أدهى أعماله فإسكار الحراس وفك جثة أخيه المعلقة. فلما سمعت البنت ذلك حاولت أن تمسك به فمد لها اللص فى الظلام ذراع الجثة، فأمسـكت بها وأطبقت عليها معتقدة أنها قابضة على ذراعه هو. أما اللص فترك لها الذراع وخرج من الباب هاربا.فلمـا حملت هذه الأنبـاء كذلك إلى الملك، تولاه العجب لدهاء هذا الرجل وجرأته، وأخيرا أرسـل إلى كافة المدن معلنا أنه إذا جاء الرجل إلى حضـرة الملـك فإنه يؤمنه على حياته ويعـده بوعود كثيرة. فوثق به اللص، وذهب إليه، فأعجب به رامبسـينيتوس كثيرا، وزوّجه من ابنته هـذه ذاتها باعتباره أكثر الناس دهاء. وقال إن المصريين يفوقون سـائر الشعوب فى الدهاء، وهذا الرجل يفوق جميع المصريين [1]

١٢٢ ويقـول المصريون إن هذا الملك هبـط بعد ذلك إلى المكان الذى يعتقـد المصريون أنه العالم السـفلى، وهناك لعب النـرد مع ديميتير، وغلبها أحيانا وأحيانا غلبته، وأنه رجع ثانية حاملا منديلا مذهبا هدية منها. ويرجع إلى هبوط رامبسـينيتوس وصعوده ثانية إحياء المصريين – فيمـا يقولـون – لعيدٍ لا يزالون يحيونه فيما أعرف شـخصيا إلى زمانى

(١) القصة مصرية قديمة اسـتهوت الشـعب وعاشـت فى خياله محتفظة بطابعها المصرى القديم، ولم يتردد ماسبيرو فى ضمها إلى مجموعة الأدب الشعبى المصرى القديم.

هذا، ولو أننى لا أستطيع على أية حال أن أجزم بأنهم بدأوا بإحيائه من أجل هذه الحادثة. ففى اليوم المعين للعيد يفرغ الكهنة من نسج ثوب، ثم يعصبون عينى أحدهم بعصابة، ويسوقونه وقد ارتدى الثوب إلى الطريق المؤدية إلى معبد ديميتير، ثم يعودون أدراجهم على الفور. أما ذلك الكاهن فيقوده - فيما يقولون - ذئبان إلى معبد ديميتير الذى يبعد عن المدينة بمقدار عشرين ستادا. ثم يقوده الذئبان[1] راجعين على الفور إلى البقعة عينها.

١٢٣ وللمرء أن يأخذ بأقوال المصريين هذه إذا صدّق أمثال هذه الروايات، أما أنا فديدنى فى كل هذا التاريخ أن أسجل ما أسمع من أقوال من أية جماعة. فالمصريون يقولون إن ديميتير وديونيسوس يحكمان العالم السفلى، هذا إلى أن المصريين هم أول من قال بعقيدة إن روح الإنسان خالدة وأنها تنتقل دائما متى هلك الجسم، إلى كائن آخر، وعندما تذهب بالتتابع إلى جميع المخلوقات على الأرض وفى الماء وفى الهواء، ترجع من جديد إلى جسم الإنسان حين ميلاده. ويقولون إن دورة الروح تتم فى ثلاثة آلاف عام[2]. ولقد أخذ كتاب من اليونانيين بهذا المذهب، بعضهم متقدم وبعضهم متأخر، ونادوا بهذا المذهب كأنه مذهبهم، وإنى مع معرفتى بأسمائهم لا أسميهم.

١٢٤ ويقولون إنه إلى عهد الملك رامبسينيتوس كانت فى مصر حكومة صالحة من جميع الوجوه، وكانت مصر مزدهرة ازدهارا عظيما.

(١) يُرى ابن آوى على الآثار المصرية وهو يمثل أنوبيس الذى يقود الموتى.

(٢) تناسخ الأرواح من المعتقدات الشعبية التى لم تجد طريقها إلى النصوص المقدسة.

وبعده صار كيوبس[1] ملكا عليهم، ودفع بهم إلى جميع أنواع الموبقات، ذلك أنه أغلق جميع المعابد ومنع المصريين من التضحية أولا، وبعد ذلك أمر جميع المصريين بالعمل من أجله، فأمر بعضهم بجر الحجارة من المحاجر الواقعة فى الجبال العربية إلى النيل، وعهد إلى غيرهم، بعد نقلها عبر النهر بالمراكب، باستلامها ونقلها إلى تلك الجهة التى تدعى الهضبة الليبية. وكانوا يعملون بغير انقطاع فى جماعات مؤلفة من ١٠٠,٠٠٠ رجل، تعمل كل منها ثلاثة أشهر. أما عن الوقت فقد استلزم إقامة الطريق الذى جروا عليه الأحجار، عشر سنوات من الضغط على الشعب. وهو عمل لا يقل كثيرا فيما يبدو لى عن بناء الأهرام، فإن طول هذا الطريق خمسة ستاد، وعرضه عشرة أبواع، وعلوه فى أقصى ارتفاعه ثمانية أبواع، وهو مبنى من حجارة مصقولة منقوش فيها صور حيوانات. وقد صرف فى بناء هذا الطريق والغرف التى تحت الأرض فى التل الذى يقوم عليه الأهرام عشر سنوات، وهذه الغرف التى تحت الأرض، وقد جعلها مقابر لنفسه فى جزيرة ساق إليها ماء النيل بوساطة قناة. وانقضى من الوقت فى بناء الهرم نفسه عشرون سنة. وهو مربع طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية بليثرا وارتفاعه مثل ذلك، وهو مبنى من حجر مصقول ملصق بعضه ببعض بدقة فائقة، وليس فيه حجر واحد يقل طوله عن ثلاثين قدما.

**١٢٥** وهذه هى طريقة بناء الهرم: بنى أولا بشكل سلالم ويسميها البعض درجات والبعض الآخر هياكل، وبعد أن بنوها على هذا النحو

(١) هو خوفو من فراعنة الأسرة الرابعة (٢٧٠٠ق.م) تقريبا وهو بانى الهرم الأكبر.

بادئ ذى بدء رفعوا الأحجار الأخرى بواسطة آلات من ألواح خشبية قصيرة، فهم يرفعون الأحجار من الأرض إلى الطبقة الأولى من الدرجات، وبعد أن يرفع الحجر إلى هذه الطبقة يوضع على آلة أخرى قائمة على الطبقة الأولى، ومنها يرفع إلى الطبقة الثانية ومنها يوضع فى آلة ثالثة. فقد كان هناك آلات بعدد الدرجات، أو لعلها كانت آلة واحدة، صنعت بحيث يسهل نقلها، فكانوا ينقلونها من طبقة إلى أخرى كلما فرغوا من نقل الحجارة فى طبقة بعد طبقة. ومن الواجب على أن أثبت الروايتين لأن المصريين يقولون بالروايتين كلتيهما. وقد أكملوا أولا الجزء الذى فى القمة ثم بعد ذلك أكملوا الأجزاء التالية وأخيرا انتهوا من الأجزاء السفلى القريبة من الأرض. ويوجد على الهرم نقش بالحروف المصرية يذكر كم من المال صرف على الفجل والبصل والثوم للعمال، وإذا لم تخنى الذاكرة فيما قاله الترجمان عندما كان يقرأ النقش، فإن المبلغ الذى صرف فى ذلك كان ١٦٠٠ طالنط من الفضة. فإذا كان الأمر كذلك فكم كانت النفقات التى بذلت بالإضافة إلى هذا على الآلات الحديدية التى اشتغلوا بها، وعلى مأكل العمال وملبسهم، إذا كان الوقت الذى قضوه فى العمل كان كما ذكرت فى موضع آخر، وأنهم صرفوا وقتا غير قليل، فيما يخيل إلىّ، فى قلع الأحجار ونقلها وفى حفر القناة الجوفية[1]؟

١٢٦ وقد انحدر كيوبس فيما يقولون إلى درك سحيق من الانحطاط، حتى إنه عندما أعوزه المال، وضع ابنته فى ماخور وأمرها أن تتقاضى

(١) راجع الفصل (١٢٤).

مبلغـا معينا، لم يقولوا لى كـم. وفضلا عن تقاضيها ما أراد أبوها فقد عقدت نيتها على ترك نصب خاص بها. ولذلك فقد كانت تطلب من كل رجل يزورها أن يهدى إليها حجرا ليسـتخدم فى هذا النصب، وقـد بُنى من هذه الأحجـار الهرم الذى يقع فى منتصف الثلاثة وهو أمـام الهرم الأكـبر ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه مائة وخمسـين قدما.

**١٢٧** وحكم كيوبس فيما يقول المصريون خمسين عاما، وبموته تولى الملـك أخوه خفـرع، وانتهج هذا نهج أخيه فى جميع الأمور وفى إقامة هـرم، ولكن هرمـه لا يبلغ حجم هرم أخيه. وإنا نعلم ذلك لأننا قسـنا الهرمـين جميعا. هذا إلى أنه لا يشـتمل على غـرف تحت الأرض، ولا تتصـل بـه قناة من النيل مثل التى تتصل بالهرم الأكبر. ففى هذا الهرم الآخر تسير القناة فى مجرى ذى جوانب مرصوفة، وتحيط بجزيرة يرقد فيها – فيما يقولون – كيوبس وقد بنى الطبقة الأولى التى تكون الأساس من حجر حبشـى ملون. ومع أن هذا الهرم يقل بمقدار أربعين قدما عن الهـرم الآخر فى الارتفـاع، فقد ابتناه على مثـل ضخامة الهرم الأكبر عينها وبالقرب منه. ويقع كلاهما فى تل واحد ارتفاعه مائة قدم تقريبا، وحكم خفرع فيما قالوا ستا وخمسين سنة.

**١٢٨** وهم يعدون هذه السنوات الست والمائة فترةً كان فيها المصريون فـى غاية مـن البؤس. فقد كانـت المعابد مغلقة أثناء تلـك الفترة، ولم تفتـح فيها أبدا. ولا يحب المصريـون أن يذكروا اسمى هذين الحاكمين

علـى الإطـلاق لكرههم لهما، بل إنهـم يدعون هرميهما باسـم الراعى فيليتيوس[1] الذى كان يرعى الأغنام فى تلك الأنحاء فى وقت بنائهما.

١٢٩ وبعـد هذا الملك تولى حكم مصر فيما يقولون منقرع بن كيوبس ولم يوافق هذا على أعمال أبيه، وفتح المعابد، وترك الناس وقد أرهقوا إلى حضيض البؤس يؤبون إلى أعمالهـم وتضحياتهم، وأصدر أحكاما كانت أعدل من أحكام سائر الملوك، وهم من أجل ذلك يمدحونه بوجه خاص أكثر من جميع الملوك الذين حكموا مصر. وفضلا عن إصدار أحكام عادلة فقـد عوض من مالـه الخاص حقا كل من لم يرض عـن أحكامه وهكذا هدأ سـخطهم. وفيما هو رحيم برعيتـه ودائب على عمل الخير، بدأت مصائبه أولا بموت ابنته. وهى الابنة الوحيدة التى كانت له فى القصر. فـكان حزنه شـديدا للرزء الـذى أصابه، وأراد أن يدفـن ابنته بطريقة خارقة للمألوف، فأمر بصنع بقرة من الخشـب جوفاء، ثم ذهّبها ودفن فى داخلها ابنته المتوفاة.

١٣٠ ولم تغيَّب هذه البقرة فى الأرض، بل إنها إلى يومنا هذا بادية للعيان، موضوعة فى مدينة سـايس فى غرفـة مزينة فى القصر الملكى. وهـم يحرقـون لها البخور فى كل يوم من جميـع الأنواع طوال النهار، ويوقـدون لها مصباحا طوال الليل. وتوجد بالقرب من البقرة، فى غرفة أخـرى تماثيل لسـرايا منقرع، فيما يقول كهنة مدينة سـايس، فهناك تماثيل ضخمة من الخشـب تبلغ العشـرين عـدا تقريبا، وهى مصنوعة

(١) لعل فى ذكر فيليتيوس الراعى صدى بعيد لحكم الهكسـوس – الملوك الرعاة – والاسـم يشير من بعيد إلى فلسطين وقد كان الفلسطينيون بعضا من الغزاة.

على هيئة نســاء عرايا، وإنى لا أستطيع أن أقطع فيمن عسى أن يكون هؤلاء، إلا بما قيل لى.

**٩٣٥** يروى البعض هذه القصة التالية فى البقرة والتماثيل الضخمة: تعلق منقرع بحب ابنته واغتصبها، فخنقت الابنة نفسها بعد ذلك كمدا، فدفنهــا الملــك داخل هذه البقرة، أما الأم فقــد قطعت أيدى الوصيفات اللائى وضعن البنت بين يدى أبيها، وعلى هذا فالتماثيل مشــوهة كما كانت الوصيفات أنفســهن مشــوهات فى الحياة. ولكنى أعتقد أن هذه القصة لا طائل تحتها خصوصا فيما يتعلق بأيدى التماثيل، فإن الأيدى قد تهاوت بفعل الزمان كما رأينا بأنفســنا، فهى ترى ملقاة على الأرض تحت أقدام التماثيل حتى إلى يومنا هذا.

**٩٣٦** وجســم البقرة كله مغطى بكساء أحمر فيما عدا الرقبة والرأس فهى مكســية بطبقة سميكة جدا مــن الذهب، ويوضع فيما بين القرنين قرص الشــمس مصورا بالذهب. والبقرة ليســت قائمــة بل جاثمة على ركبها، وهى فى حجم بقرة ضخمة حية. وتخرج البقرة مرة فى الســنة وذلــك عندمــا ما يحدّ المصريــون على الإله [1] الــذى لا أسميه فى هذا الصدد، ففى هذه المناســبة تنقل البقــرة إلى ضوء النهار. فهم يقولون إن البنــت عند موتها التمســت من أبيها أن ترى الشــمس مرة واحدة فى السنة.

**٩٣٧** وبعد موت ابنته، أصابت ذلك الملك فيما يقول الكهنة مصيبة ثانية على النحو التالى: جاءه الوحى من مدينة بوطو منبئا بأنه ســوف

(١) يعنى أوزيريس، راجع (٦١)، (٨٦).

يعيش ست سنين فقط ويموت فى السنة السابعة. غضب الملك لذلك، وأرسل إلى الوحى يرد عاتبا على الإله أن أباه وعمه اللذان أغلقا المعابد ولم يذكرا الآلهة، بل أهلكا الناس، قد عاشا زمنا طويلا وهو التقى يوشك أن يموت بهذه السرعة. وجاءه الرد ثانية من الوحى قائلا إن حياته قد اقتُضِبت لهذه الاعتبارات، ذلك بأنه لم ينفذ ما وجب عليه تنفيذه، فقد كان قد قضى على مصر أن تشقى مدة مائة وخمسين عاما، ولقد فهم الملكان اللذان حكما مصر قبله ذلك القضاء، ولم يدركه هو. لما سمع منقرع هذا الرد أدرك أن مصيره قد تقرر، فأمر بصنع مصابيح كثيرة، وكان يشعلها كلما جن الليل، ويشرب ويمجن لا يتوقف نهارا أو ليلا. وسافر إلى المستنقعات والغابات وإلى حيثما بلغه أنه يوجد مسارح لهو مستحبة. أراد بهذا التصرف أن يُظهر أن الوحى كاذب. وكان هدفه أن تصبح السنوات الست، وقد انقلب الليل نهارا، اثنتى عشرة سنة.

١٣٤ وترك هو الآخر هرما، ولكنه يقل كثيرا عن هرم أبيه. وهو مربع القاعدة ينقص عنه كل ضلع بمقدار عشرين قدما فى كل ثلثمائة قدم وهو إلى نصفه من الحجر الحبشى. ويذهب بعض اليونانيين إلى أنه أقيم للغانية رودوبيس وهم فى ذلك مخطئون، بل إنهم كما اتضح لى، يقولون هذا وهم لا يعرفون من عساها أن تكون رودوبيس هذه، فلو عرفوها ما نسبوا مثل هذا الهرم إليها، فقد أنفق عليه ما لايحصى من آلاف الطالنط كما نقول. وفضلا عن هذا فإن رودوبيس قد ازدهرت فى عهد الملك أمازيس وليس فى عهد منقرع. وإذن فقد عاشت رودوبيس بعد هؤلاء الملوك الذين خلّفوا هذه الأهرام بسنين عددًا. وكان أصلها

من تراقيا، وكانت سرية لايدامون بن هيفايستوبوليس وهو من جزيرة ساموس وكانت زميلة فى الرق لأيسوبوس[1] القاص. أما أن أيسوبوس كان عبدا لإيدامون فيتضح جليا وبوجه خاص من الحادثة الآتية: لما كرر سدنة دلفى، بأمر من الوحى، النداء بأن من يريد أن يأخذ دية أيسوبوس فليتقدم، لم يتقدم أحد آخر غير إيدامون آخر هو حفيد الأول. وعلى هذا كان أيسوبوس، هو الآخر مِلْكا لإيدامون.

١٣٥ وقد جاءت رودوبيس إلى مصر مصحوبة بكزاثيوس من أهل ساموس، جاءت لمباشرة حرفتها، وأعتقها خراكسوس المتيلينى بمبلغ كبير من المال، وهو ابن سكاماندرونيموس وأخو الشاعرة سافو[2] وهكذا صارت رودوبيس امرأة حرة. وبقيت فى مصر حيث جمعت، لكونها شديدة الفتنة، ثروة كبيرة بالنسبة لامرأة مثل رودوبيس ولكنها ليست كبيرة إلى حد أن تكفى لتشييد هرم كهذا. ولا يزال من الميسور لكل من يريد أن يتحقق من ثروتها أن يرى إلى يومنا هذا عُشر هذه الثروة، فلا ينبغى أن نعزو لها ثروة كبيرة. فقد أرادت رودوبيس أن تترك فى بلاد اليونان تذكارا لها، فأمرت بصنع شىء لم يتفق لغيرها أن يقع على مثله أو يهديه للمعبد، ووضعته فى دلفى تذكارا لها. نعم أمرت بأن يصنع بُعشر ثروتها سفافيد من حديد من التى تستخدم فى شىّ البقر، وجعلتها كثيرة بقدر ما يفى عُشر الثروة، وأرسلتها إلى دلفى.

---

(١) قاص أو راوية للقصص، عاش فى القرن السادس قبل الميلاد، ولكن كثيرا من القصص المنسوبة إليه كانت معروفة قبله، وهو لم يدون قصصه شأنه فى ذلك شأن سقراط.

(٢) شاعرة لسبوس الشهيرة عاشت حوالى سنة ٦٠٠ ق.م.

ولا تزال هذه السفافيد إلى الآن مكوِّمة هناك، وراء الهيكل الذى أهداه الخيويون، وأمام المحراب ذاته. ولأمر ما تبدو غوانى نوقراطيس عادة فى غاية الفتنة. فالأمر لا يقتصر على تلك المرأة الذى كان كلامنا دائرا عليها وحدها، والتى اشتهرت إلى حد أن كل اليونانيين كانوا يعرفون اسم رودوبيس، بل إنه فى عصر متأخر كانت هناك غانية أخرى اسمها أرخيديكى اشتهرت فى طول بلاد اليونان وعرضها بأغانيها، ولو أن اسمها كان أقل دورانا على الألسنة من الأخرى. ولما أعتق خراكسوس رودوبيس ورجع إلى ميتيلينى، سخرت منه سافو كثيرا فى أشعارها. ولنقف عند هذا الحد فيما يتعلق برودوبيس.

**١٣٦** وبعد منقرع أصبح أسوخيس[1] فيما يقول الكهنة ملكا على مصر، وهو الذى شيد المدخل الشرقى لمعبد هيفايستوس، وهو أبهى المداخل وأضخمها بكثير. فمع أن كل المداخل فيها أشكال محفورة وآلاف الصور ومناظر زخرفية أخرى لا تحصى، فإن هذا المدخل أبهاها ببعيد. ويقولون إنه فى عهد ذلك الملك قد تداول النقد قلة شديدة، فصدر فى مصر قانون يخول للرجل أن يستدين بوضع جثة أبيه رهنا، وهكذا يستلم المبلغ. وأضيفت إلى هذا القانون مادة تخول الدائن سلطة مطلقة على مقبرة المدين كلها، فإذا لم يشأ المدين الذى قدم ذلك الرهن أن يفى بالدين، كانت عقوبته ألا يدفن عند موته، ولا أن يدفن أى فرد آخر من أفراد عائلته، لا فى مقبرة أهله ولا فى أى مقبرة أخرى.

(١) المرجح أنه الملك شب - سيس - كاف وهو آخر ملوك الأسرة الرابعة. عاش حوالى سنة ٢٦٠٠ ق.م.

وأراد ذلك الملك أن يبز من سبقوه من ملوك مصر فترك هرما من اللِبن، وعليه نقش محفور فى الحجر يقول «لا تحتقرنى بالقياس إلى الأهرام الحجرية، فإنى أفضلها كما يفضُل زيوس سائر الآلهة. فقد ألقى الناس فى البحيرة مسبارا، فتعلّق بعض الطين بالمسبار، جمع الناس هذا الطين وصنعوا منه لبِنات، وبهذه الطريقة شيدونى» تلك هى الأعمال التى قام بها هذا الملك.

١٣٧ وبعد ذلك الملك تولى الملك رجل أعمى من مدينة أنيسيس، واسمه أنيسيس، وفى عهد هذا الملك غزا شباكا[1] ملك الأحباش مصر بقوة كبيرة أما الأعمى فقد فرّ هاربا إلى المستنقعات، وأما الحبشى فحكم مصر مدة خمسين عاما، كان سلوكه فيها على النحو التالى: كلما ارتكب أحد من المصريين جرما ما، لم يشأ أن يقتل واحدا منهم، بل كان يقضى فى كل بما يتفق وضخامة الجرم، ويأمر كلا بإقامة السدود فى المدينة التى جاء منها كل واحد من المجرمين، وهكذا أصبحت المدن أكثر ارتفاعا عن ذى قبل، لأنها بعد أن كانت قد ارتفعت أول الأمر بفضل الذين حفروا القنوات فى عهد سيسوستريس، ارتفعت ثانية من جراء هذه العمليات فى عهد الملك الحبشى، وأصبحت شديدة العلو، ومع أن سائر المدن المصرية مرتفعة، فأرض المدينة فى بوباسطيس، فيما يخيَّل إلىّ، مرتفعة بوجه خاص، وفيها معبد بوباسطيس، وهو عظيم الجدارة

(١) هو شباكا من الأسرة الخامسة والعشرين التى تتألف بحسب قول مانيتو من ثلاثة ملوك فقط هم: شباكا، وشباتاكا، وطهراقا، وذكر ديودور أنها تتألف من أربعة ملوك. وليس فى الوثائق القديمة ما يدعم ما ذكره هيرودوت من أنهم كانوا ثمانية عشر ملكا.

بالوصف، وقد يكون غيره من المعابد أضخم منه حجما، وأبهظ نفقات، ولكن ليس فيها معبد واحد يفوقه بهجة للنظر، والإلهة بوباسطيس هى فى اللغة اليونانية أرتميس.

١٣٨ وهذا هو وصف المعبد: يقوم كله فيما عدا المدخل على جزيرة، إذ ينساب من النيل فرعان لا يلتقيان ببعضهما، ولكنهما يجريان كل على حدة إلى مدخل المعبد، ويحفّان بالمعبد كل من جانب، وعرض كل من الفرعين مائة قدم وتظللهما الأشجار. أما المدخل فارتفاعه عشرة أبواع، ومزخرف بأشكال طولها ستة أقدام وهى جديرة بالوصف. ويقع المعبد فى وسط المدينة، ويُرى من جميع الجهات إذا درت حوله. ذلك بأنه فى حين أن المدينة قد ارتفعت لم يرتفع المعبد عن المستوى الذى كان عليه يوم شُيِّد أولا، فهو لهذا ظاهر. ويحيط بالمعبد سور نقشت فيه أشكال، وفى داخل السور بستان ذو أشجار باسقة نامية حول المحراب الكبير الذى يوجد داخله تمثال الإلهة. ويبلغ طول المعبد وعرضه فى جميع الجهات ستاد، ويوجد بحذاء المدخل طريق مرصوف بالحجارة، لمسافة ثلاثة ستاد تقريبا، وهو يمتد شرقا مخترقا السوق، وعرضه أربعمائة قدم، وتنمو على جانبى هذا الطريق أشجار تبلغ عنان السماء، وهو يؤدى إلى معبد هرمس. ذلك إذن هو وصف المعبّد.

١٣٩ وكان خروج الحبشى النهائى من مصر على هذا النحو: أسرع بالفرار بعد أن رأى حلما فى منامه. رأى كأن رجلا يقف إلى جانبه وينصحه بأن يجمع كل كهنة مصر ويقطعهم من الوسط. فقال بعد أن رأى هذا الحلم إنه يخيل إليه أن الآلهة تحيك له شركا حتى إذا انتهك

حرمة الأشـياء المقدسـة أصابه الضر من الآلهة أو الناس، وأنه لن يفعل هـذا، بـل إن الوقت الذى قُضىَ بأن يحكم فيه مصر قد انقضى ولم يبق إلا الانسـحاب. ذلك بأنـه عندما كان فى الحبشـة أعلن الوحى الذى يسـتنبؤه الأحباش أنه قد قُضِى بأن يكون ملكا على مصر مدة خمسـين عامـا، وحيث إن هـذه الفترة قد انقضت الآن، وأن الحلم الذى رآه فى منامه كان يزعجه، فقد انسحب شباكا من مصر مختارا.

١٤٠ وحالما قفل الحبشـى راجعا من مصـر، جاء الأعمى وحكمها ثانيـة إذ إنه كان قـد ابتنى جزيرة فى إقليم المسـتنقعات بركام الرماد والتراب. وظل يعيش عليها طيلة الخمسـين عاما.فإنه أمر كل واحد من المصريين (وقد كان مقررا أن يزوروه حاملين الطعام خلسة من الحبشى) أن يحضروا معهم كلما جاءوا رمادا أيضا بمثابة هدية. ولم يسـتطع ملك واحـد قبل أميرتيوس أن يقع على هذه الجزيرة، فالملوك الذين سـبقوا أميرتيوس لم يوفقوا فى العثور عليها مدة تزيد على سبعمائة سنة. واسم هذه الجزيرة هو إلبو وامتدادها فى جميع الجهات عشرة ستاد.

١٤١ وتـولى بعـده الحكـم كاهن هيفايسـتوس واسمه سـيثوس [١] وقـد عامل المحاربـين المصريين بامتهان وازدراهـم ظانا أنه لن يحتاج إليهـم. ولقـد أبدى نحوهم كثيرا من مظاهر الامتهـان منها أنه جردهم مـن إقطاعاتهـم، مع أنهم كانـوا يعطون كل واحد منهـم فى عهد من

(١) لم يرد ذكره فى غير هذا الموضع من الأدب القديم. ولعله كان كاهنا مصريا يحكم فى مصر السـفلى تحت سـلطان الأحباش. ويذهب البعض إلى أن كلمة سيثوس هى تحريف للفظة المصرية «ستنى» لقب الكاهن.

سبقه من الملوك قطعة منتقاة مساحتها اثنا عشر فدانا. وبعد ذلك ساق سانخاريب[1] ملك العرب والآشوريين جيشا عظيما على مصر. ورفض المحاربون المصريون طبعا أن يساعدوا ملكهم. ولقد وجد الكاهن نفسه فى مأزق فذهب إلى المحراب وندب أمام التمثال ما يحيق به من بؤس. وفيما هو يندب أخذه النوم، وخيل له فى الحلم كأن الرب يقف بجانبه يشد إزره قائلا إنه لن يصيبه ضر إذا خرج لملاقاة الجيش العربى، وذلك لأن الرب ذاته سيرسل إليه من يساعدونه. اعتمد على هذه النبؤات وأخذ معه من المصريين من رغب فى اتباعه وعسكر فى بيلوزيوم، فهناك المنافذ إلى القطر. ولم يتبعه واحد من المحاربين بل تبعه تجار وصناع وباعه. ولما وصلوا هناك هجمت على أعدائهم بالليل أسراب من الفئران[2] البرية، وقرضت جعبهم وأقواسهم وحمائل دروعهم كذلك، حتى إنهم فروا فى اليوم التالى وقد أصبحوا عزلا من السلاح، وسقط منهم الكثيرون، وإلى الآن يقوم تمثال حجرى لهذا الملك فى معبد هيفايستوس حاملا فى يده فأرا، عليه نقش يقول «فليتق الله كل من ينظر إلى»[3].

١٤٢ القول إلى هذا الحد من تاريخنا قول المصريين وكهنتهم، وقد بينوا لى أنه قد عاش منذ أول ملك إلى كاهن هيفايستوس هذا وهو آخر الملوك واحد وأربعون وثلثمائة جيل من الناس. وكان عندهم عدد من

(١) سانخاريب ملك الآشوريين غزا مصر فى أوائل القرن السابع ق.م وطُرِد من مصر فى عهد طهراقا الذى ينتهى سنة ٦٦٣ ق.م.

(٢) الفأر رمز الطاعون عند اليونانيين.

(٣) كان الفأر مقدسا للإله حورس فى مدينة بوطو، ويظهر أن مصدر القصة كان صورة لكاهن حورس يحمل الفأر رمز الإله.

الملوك والكهان يماثل عدد الأجيال. والآن، فإن ثلثمائة جيل من الناس تساوى عشرة آلاف عام لأن القرن مكون من ثلاثة أجيال. ويبلغ ما تشتمل عليه الأجيال الواحد والأربعون الباقية ١٣٤٠ عاما.وهم يقولون إنه فى ١١٣٤٠ سنة لم يظهر إله واحد فى هيئة إنسان. وقرروا أنه لم يظهر شىء من هذا القبيل فى عهود ملوك مصر الباقين لا من قبل ولا من بعد. هذا ولكنهم يقولون إنه فى تلك الفترة قد طلعت الشمس من غير مواضعها المعهودة أربع مرات، فأشرقت مرتين حيث تغرب الآن وغربت مرتين حيث تشرق الآن، وأنه لم يتغير شىء فى مصر من جراء هذا لا فى غلة الأرض ولا فى نتاج النهر، ولا فيما يتعلق بالأمراض أو الموت.

١٤٣ ولما كان هيكاتيوس [1] المؤرخ فى طيبة فيما مضى تتبع نسبه ووصل بآبائه إلى إله فى الجيل السادس عشر قبله، وقد صنع معه كهنة زيوس مثل الذى صنعوه معى مع أننى لم أتتبع نسبى. ذلك أنهم فادونى إلى المحراب الداخلى وأرونى تماثيل خشبية ضخمة، وعدوها مبينين أن عددها كان كما قالوا تماما. فإن كل كاهن أعظم يضع هناك تمثالا لنفسه أثناء حياته. وفيما كان الكهنة يعدونها ويطلعونى عليها، بينوا لى أن كل واحد من الكهان العظام كان خليفة أبيه. وقد بينوا هذا بادئين بآخر من مات منهم ومارين بهم جميعا إلى أن أتوا على ذكرهم أجمعين.

(١) هيكاتيوس الملطى مؤرخ وجغرافى سابق لهيرودوت، وقام برحلات كثيرة فى آخر القرن السادس ق.م. وقد زار مصر فى عهد دارا ليجمع مادة لكتابه «حول الأرض» الذى نشره قبل سنة ٥٠٠ ق.م. ومن كتبه الأخرى كتاب «التواريخ» و«الأنساب».

ولما تتبع هيكاتيوس نسبه ووصل بنسبه إلى إله فى الجيل السادس عشر قبله، عارضوا نسبه اعتمادا على هذا الثبت. فإنهم لم يصدقوا ما قرر من أن إنسانا ينشأ عن إله. وقد عارضوا نسبه بأن بينوا أن كل واحد من أصحاب التماثيل الضخمة كان بيروميس خليفة بيروميس، وبينوا أن هذا ينطبق على الخمسة والأربعين وثلثمائة تمثالا، ولم يعزوا أصل واحد منها إلى إله أو بطل. وبيروميس تعنى فى اللغة اليونانية «رجل فاضل» [1].

١٤٤ وإذن فقد استتبع تدليلهم أن هذه التماثيل كانت مطابقة لأصولها الإنسانية، وكانت بعيدة فى جميع الأحوال عن الآلهة. وقبل هؤلاء الأناسى كانت الآلهة تحكم وتعيش مع الأناسى جنبا إلى جنب وكان واحد منها يسيطر عليها دائما. وكان آخر الملوك من الآلهة هورس ابن أوزيريس ويسميه اليونانيون أبوللون، وهو الذى خلع طيفون، وكان آخر الآلهة التى حكمت مصر. وأوزيريس هو فى اللغة اليونانية ديونيسوس.

١٤٥ ويُعد هرقل وديونيسوس وبان فى بلاد اليونان أصغر الآلهة. أما المصريون فيعدون بان أقدم الآلهة، وأحد الآلهة التى يسمونها الآلهة الثمانية الأولى. وهرقل أحد آلهة الطبقة الثانية ويسمونها الآلهة الاثنى عشر، وديونيسوس أحد آلهة الطبقة الثالثة الذين نشأوا عن الآلهة الاثنى عشر. ولقد ذكرت فيما سبق كم من السنين انقضى فيما يقول المصريون

(١) «بى - رومى» تعنى فى المصرية «الرجل» ولفظة «رومى» كانت اللفظة الشائعة لمعنى مصرى. وهى تعنى أيضا «إنسان» فى مقابل «إله».

بـين هرقل والملك أمازيس. ويقال إن الفـترة التى انقضت منذ عهد بان أطـول من ذلك، وانقضت منذ عهد ديونيسـوس فترة أقصر من ذينكما. وهم يعدون من عهد ديونيسـوس هذا إلى عهد الملك أمازيس خمسة عشر ألـف عام. ويقرر المصريـون أنهم يعرفون ذلك على وجه الدقة، إذ إنهم يعدون السنين باسـتمرار ولا ينقطعون عن تسجيل أعدادها. هذا مع أن الفترة منذ عهد ديونيسوس بن سميلى ابنة كادموس إلى زمانى هذا حوالى سـتمائة وألف عام. ومن هرقل بن الكمينى تسعمائة عام تقريبا، والفترة مـن بان بن بينيلوبـى (يقول اليونانيون إن بان بـن هرمس وبينيلوبى) أقصـر من الفترة التى انقضـت منذ الحروب الطروادية التى حدثت منذ ثمانمائة سنة تقريبا.

١٤٦ ولـكل واحـد أن يختار مـن هاتين الروايتين مـا يراها أولى بالتصديق. ولقد أوضحت أنا شخصيا رأيى فى الموضوع، فإذا كان هذان الإلهان (ديونيسـوس بن سميلى، وبان بن بينيلوبى) اشتهرا وعمرا فى بلاد اليونان شأنهما فى ذلك شأن هرقل بن أمفيتريون، فالقائل أن يقول إن هذين الإلهين كانا إنسـانين واتخذا اسمى ذينك الإلهين المذكورين. وبعد، فإن اليونانيين يقولون إن زيوس قد خاط ديونيسوس إلى فخذه بعد أن وُلِدَ مباشـرة وحمله إلى نيسا[1] التى تقع فى الحبشة فيما وراء مصر. ولكنهم لا يعلمون ما حدث لبان بعد ميلاده. فمن الواضح إذن فيما يخيل إلىّ أن اليونانيين عرفوا اسمى هذين الإلهين بعد أسماء الآلهة الأخرى، وأنهم وضعوا ميلاد هذين الإلهين فى الفترة التى دروا فيها بأمرهما.

(١) يظهر أنه يعنى جبل برقة فى نباطا.

١٤٧ العهدة فيما أسلفت على المصريين أنفسهم. وإنى سأثبت من الآن ما يقرره الآخرون بشأن هذا البلد وكذلك ما يقول به المصريون إذا اتفق مع الروايات الأخرى، وسأضيف إلى هذا شيئا من مشاهداتى الشخصية.

لما حرر المصريون بعد حكم كاهن هيفايستوس، قسموا مصر كلها إلى اثنتى عشرة مقاطعة، ولوا عليها اثنى عشر ملكا (فقد رأوا أنهم لا يستطيعون العيش زمنا بدون ملك) وتزوج هؤلاء فيما بينهم، وحكموا بعد أن قطعوا على أنفسهم العهود بألا يخلع واحد منهم الآخر، وألا يسعى أحدهم أن يكون له من السلطة أكثر مما لآخر، وأن يكونوا كأحسن ما يكون الأصدقاء. وقد اتخذوا هذه العهود وحافظوا عليها بقوة، لأن الوحى قد جاءهم فى أول الأمر بعد أن عينوا للحكم مباشرة، بأن من يسكب القربان منهم من إناء برونزى فى معبد هيفايستوس سيتولى ملك مصر بأسرها. (كانوا يجتمعون فى المعابد كلها الواحد بعد الآخر).

١٤٨ وقرروا أن يخلفوا أثرا لهم مشتركا. فابتنوا تنفيذا لهذا القرار اللابيرنث[1] الذى يقع فيما وراء بحيرة مويريس بقليل، فى مواجهة المدينة التى تدعى مدينة التماسيح تقريبا.ولقد رأيت هذا البناء وهو يجل عن الوصف فلو أن امرأ حشد معرضا للمبانى والآثار الفنية التى أخرجها اليونانيون لظهر أنها تقل فى صناعتها ونفقاتها عن هذا اللابيرنث. هذا مع أن معبد أفسوس ومعبد ساموس كلاهما جدير بالوصف، والأهرام كما

(١) هو بناء على شكل حدوة الحصان كان فيما يرجح بالقرب من هرم هوارة.

رأينا فيما سبق تجل هى الأخرى عن الوصف ويضارع كل منها الآثار اليونانية على عظمتها. ولكن اللابيرنث تفضل الأهرام أيضا. واللابيرنث اثنا عشر بهوا مسقوفة مداخلها متقابلة، ستة منها متجهة إلى الشرق وستة متجهة إلى الغرب فى اطراد، ويحيط بها من الخارج سور واحد، وهناك صنفان من الغرف، غرف تحت الأرض وغرف فوقها. وعددها ثلاثة آلاف غرفة، خمسمائة وألف من كل نوع. أما الغرف التى فوق سطح الأرض فقد رأيناها ومررنا بها وإنا نصف ما عايناه بأنفسنا. أما الغرف التى تحت سطح الأرض فقد وقفنا على أمرهما بالسماع، لأن القائمين بالأمر هنا من المصريين لم يرضوا مطلقا أن يرونا إياها زاعمين أن توابيت الملوك الذين ابتنوا فى البدء ذلك اللابيرنث راقدة بداخلها، وكذلك توابيت التماسيح المقدسة. وهكذا فقد تلقفنا بالسماع ما نقول فى الغرف السفلية. أما الغرف العليا، وهى تفوق ما أخرجه الإنسان من آثار فقد شاهدناها بأنفسنا. فالممرات خلال الردهات، المنعرجات الشديدة التداخل خلال الأبهاء ملأتنا عجبا بالغا أثناء مرورنا من البهو إلى الغرف ومن الغرف إلى الأروقة ومن الأروقة إلى ردهات أخرى ومن الغرف إلى سائر الأبهاء. وسقف هذه الأبنية كلها من الحجر مثل الأسوار. والأسوار مليئة بالصور المحفورة. وتحيط بكل بهو أعمدة من الحجر الأبيض متسقة أشد الاتساق وملتصقة ومتداخلة بغاية الإتقان. ويوجد فى الركن عند طرف اللابيرنث هرم طوله أربعون باعا، وقد مُدَّ طريق تحت الأرض يؤدى إليه.

١٤٩ والبحـيرة التى تدعى بحيرة مويريس وهى التى بنى بجانبها اللابيرنث، تملأنا عجبا أكثر من اللابيرنث نفسه وهو كما وصفنا. فطول محيطها ٣٦٠٠ ستاد. أو ستون سيخنوسا، وهى مسافة تعادل طول مصر نفسها على ساحل البحر. والبحيرة ممتدة من الشمال إلى الجنوب وعمقها – أعمق ما تكون خمسين باعا، أما إنها صناعية محفورة فأمر جلى، فإنه يقوم فى وسط البحيرة تقريبا هرمان يعلو كل منهما فوق الماء بمقدار خمسين باعا ومثل هذا القدر مبنى تحت سطح الماء، وينتصب فوق كل منهما تمثال ضخم من الحجر متبوئا عرشا. وهكذا يكون ارتفاع كل من الهرمين مائة باع، ومائة باع تساوى ستادا واحدا مؤلفا من ستمائة قدم ذلك أن الباع يساوى ستة أقدام، أو أربع أذرع إذ إن القدم أربعة أشبار والذراع ستة أشبار.

والماء فى البحيرة ليس فيها بالطبيعة فهذه الجهات عديمة الأمطار للغاية. والماء مجلوب من النيل بوساطة قناة. وينساب الماء من النيل داخلا فى البحيرة مدة ستة أشهر، وخارجا من البحيرة إلى النيل كرة أخرى مدة ستة أشهر. وفى الأشهر الستة التى ينساب الماء فيها خارجا من البحيرة يورد إلى الخزانة الملكية صيدا بمبلغ طالنط من الفضة كل يوم، ويكون دخل الخزانة حينما يأتى الماء إلى البحيرة عشرين منا فحسب.

١٥٠ وقال أهل البلاد كذلك إن هذه البحيرة تمتد تحت الأرض من جهتها الغربية إلى الأرض الداخية فيما وراء السلسلة الجبلية التى بالقرب من منف. وتصب فى السيرتيس فى ليبيا. وحيث إننى لم أر

الرمال الناشئة عن الحفر فى أى مكان وكان ذلك شغلى الشاغل، فقد سألت الذين يسكنون بجوار البحيرة مباشرة أين تقع الرمال التى حفرت فقال لى هؤلاء أين نقلت فصدقتهم بسهولة؛ لأننى كنت قد علمت بالسماع أن مثل هذا قد حدث أيضا فى مدينة نينوى[1] فى أشوريا. فقد كان ساردانابالوس[2] ملك نينوى يملك أموالا طائلة محروسة فى كنوز تحت الأرض ودبر اللصوص أن يسرقوها. فبدأ اللصوص من بيوتهم وقدروا المسافة ودأبوا يحضرون صوب القصر الملكى. وكانوا كلما جن الليل يحملون التراب المستخرج من الحفر إلى نهر الدجلة الذى يجرى بجوار نينوى، إلى أن بلغوا مأربهم. ولقد سمعت أن حفر البحيرة فى مصر كان على ذلك النحو إلا إنه لم يعمل بالليل بل بالنهار. فقد حمل المصريون الأتربة المستخرجة بالحفر إلى النيل، فابتلعها النيل وألقى بها بعيدا بالطبع.

١٥١ ظل الملوك الاثنا عشر يصطنعون العدل فيما بينهم زمنا، وعندما كانوا يضحون فى معبد هيفايستوس حدث فى آخر أيام العيد عندما كانوا يزمعون سكب القربان، أن أخطأ الكاهن الأكبر عدهم فأحضر لهم الأوانى الذهبية التى كانوا قد تعودوا استخدامها فى سكب القربان، ولكنه وقد أخطأ عددهم أحضر للاثنى عشر إحدى عشرة آنية.

وحيث إن بسماتيك كان يقف آخرهم، ولم يكن له إناء، فقد نزع خوذته وكانت من البرونز وتناول بها خمر القربان وسكبه. وكان سائر

(١) هى عاصمة آشور من سنة ١٣٠٠ ق.م. إلى أن استولى عليها الميديون فى سنة ٦١٢ ق.م.
(٢) هو آشور بانيبال، ملك آشورى عاش فى القرن السابع ق.م.

الملوك جميعا يلبسون خوذات واتفق أنهم كانوا جميعا يلبسونها فى تلك المناسبة. وإذن فلم يكن بسماتيك يصطنع شيئا من المكر عندما استخدم خوذته. وتدبر الملوك الآخرون فيما فعل بسماتيك وفى النبوءة التى أعلمتهم «بأن من يسكب منهم القربان من إناء برونزى سيكون وحده ملك مصر». ولما تذكروا النبوءة لم يستصوبوا قتل بسماتيك، فقد وجدوا بالتحرى أنه لم يأت ما فعل بقصد سيئ. وقرروا أن يجردوه من الجزء الأكبر من سلطانه وينفوه إلى المستنقعات، وألا يغادر المستنقعات ولا يتصل بسائر أقاليم مصر.

**١٥٢** وكان سباكو الحبشى قد نفى بسماتيك هذا فى مرة سابقة، نفاه إلى سوريا بعد أن قتل أباه نيكوس[1]. ولما غادر الحبشى البلاد بسبب الحلم الذى رآه، استرجع المصريون من أهل سايس بسماتيك، فكان من سوء طالعه أن ينفيه الملوك الأحد عشر مرة ثانية إلى المستنقعات بعد أن أصبح ملكا بسبب الخوذة. وقد أحس أنهم ظلموه ونوى أن ينتقم من مضطهديه. وأرسل إلى وحى ليطوف فى مدينة بوطو حيث يوجد وحى عظيم التصديق عند المصريين. وجاءه الوحى بأن الانتقام سيأتى من ناحية البحر حينما يظهر قوم برونزيون. وتملكه إنكار شديد بأنه سيأتى رجال برونزيون لمؤازرته.

وبعد مضى زمان غير طويل عصف النوء برجال أيونيين وكاريين كانوا قد أبحروا بغية السلب، وطوح بهم إلى مصر. ولما نزلوا إلى البر

(١) هو أبو بسماتيك الأول، كان حاكما من حكام الأقاليم تحت إشراف الآشوريين، وإذا كان ما قاله هيرودوت صحيحا يكون نيكوس قد قتل فى عام ٦٦٣ ق.م عند غزو الأحباش لمصر.

كانـوا مدرعين بالبرونـز. وذهب واحد من المصريـين ولم يكن قد رأى مـن قبل رجالا مدرعين بالبرونز، وأبلغ بسـماتيك أن رجالا برونزيين قد وصلوا من البحر وأنهم ينهبون السهل. أيقن بسماتيك أن النبوءة قد تحققت وعمل على صداقة الأيونيين والكاريين وحاول أن يقنعهـم بوعود سـخية أن يكونوا فى خدمته. ولما أقنعهم غلب الملوك بمسـاعدة المصريين الذين انضموا تحت لوائه وهؤلاء المرتزقة معا.

١٥٣ لما قهر بسماتيك مصر كلها أقام فى منف الصرح الجنوبى لعبد هيفايسـتوس وابتنى فى مواجهة الصـرح بهوا لآبيس يحفظ فيه آبيس عندما يتجلى، وهو كله محاط بالأعمدة، ملىء بالرسوم، وتحملـه تماثيل ضخمة طول كل منها اثنتا عشـرة ذراعا بدلا من أعمدة. وآبيس هو فى اللغة اليونانية إبافوس.

١٥٤ وأقطـع بسـماتيك الأيونيين والكاريـين الذين عملوا له أراضـى ليسـكنوها وكان بعضها فى مواجهة بعـض، والنيل فى منتصفها. وهذه الإقطاعات اتخذت اسـم المعسكرات. لقد أقطعهم هذه الأراضى وأعطاهم سـائر ما كان قد وعدهم به جميعا، هذا إلى إنه عهد إليهم بصبيان مصريين ليتعلموا اللغة اليونانية. ومن هؤلاء نشـأت طائفة التراجمة فـى مصر بعد أن تعلموا اللغـة اليونانية. ونزل الأيونيـون والكاريون هذه الإقطاعـات زمنا طويلا وهى تقع ناحية البحر بعد مدينة بوباسطيس بقليل، على فرع النيل المسمى

بالفرع البيلوزى. وبعد زمن ما نقلهم الملك أمازيس[1] من ذلك المكان وأسكنهم منف وجعلهم حرسه الخاص ضد المصريين. ولما سكن هؤلاء مصر عرف اليونانيون عن طريق الاتصال بهم كل ما ألّم بمصر على وجه الدقة ابتداء من عهد بسماتيك وما بعده. ذلك أن هؤلاء أول من سكن مصر من الأجانب. ولقد ظلت فى الأراضى التى كانوا قد أجلوا عنها إلى زمانى هذا موانئ سفنهم وآثار مساكنهم. وهكذا استقل بسماتيك بمصر.

١٥٥ كثيرا ما ذكرت فيما سبق مهبط الوحى فى مصر. وسأجعل الكلام عليه الآن لأنه جدير بالوصف. مهبط الوحى هذا هو معبد ليطو القائم فى مدينة كبيرة على فرع النيل المسمى بالفرع السبينيتى فى طريقك من البحر إلى داخل البلاد.

واسم تلك المدينة التى يقع فيها الوحى هو بوطو كما أسميتها آنفا. ويوجد فى مدينة بوطو هذه معبد لأبوللو وأرتميس. ومعبد ليطو الذى يقع فى داخله مهبط الوحى له – فضلا عن ضخامته – صرح ارتفاعه عشرة أبواع. وإنى سأصف الآن ما كان أشد إثارة للعجب فى نفسى من بين ما عرضوه علىّ.

يوجد داخل أسوار معبد ليطو هذا محراب متخذ من حجر واحد، وهو متساوى الأطوال سواء نظرت إليه من ناحية الارتفاع أو العرض فكل منهما أربعون ذراعا. وسقفه حجر آخر منبسط، له إفريز بارز بمقدار أربع أذرع.

(١) هو أحمس الثانى الذى ولى الملك من سنة ٥٦٩ إلى سنة ٥٢٦ ق.م ويذهب هيرودوت إلى أن عصره هو العصر الذهبى لليونان فى مصر، ولكن الواقع أن أحمس الثانى وصل إلى الحكم نتيجة لحركة قومية مناهضة لنفوذ اليونانيين فى مصر.

١٥٦ هذا المحراب هو أشد ما عرضوه علىَّ فيما يختص بهذا المعبد إثـارة للعجب. وتتلوه الجزيـرة التى تدعى جزيرة خميس التى تقع فى بحيرة عميقة واسـعة بجـوار معبد بوطو، ويسـميها المصريون الجزيرة العائمـة. وإننى شـخصيا لم أرها عائمة أو متحركـة ولكنى عجبت إذ سمعت بأمر جزيرة عائمة حقا.وفى هذه الجزيرة معبد عظيم لأبوللو مبنى فيه ثلاثة هياكل، وينمو فى هذه الجزيرة نخيل كثيف وأشـجار أخرى كثيرة بعضها يحمل ثمارا وبعضها لا يحمل ثمارا.

ويروى المصريون هذه القصة تفسيرا لأمر الجزيرة العائمة: فى الزمان الغابـر حين كانت الجزيرة ثابتة غـير عائمة، كانت ليطو وهى إحدى الآلهة الثمانية الأولى تسـكن مدينة بوطو، فـى البقعة التى يوجد فيها مهبط وحيها ذاك. وقد استلمت إيزيس من أبوللو وديعة وأنقذت حياته بـأن خبأته فى الجزيرة العائمة، حدث هـذا فى الوقت الذى كان فيه طيفـون يجوب العالم منقبـا يريد أن يجد ابن أوزيرس. (يقول المصريون إن أبوللو وأرتميس ابنا ديونيسـوس وإيزيس، وأن ليطو كانت مربيتهما ومنقذتهمـا. وفى اللغة المصرية أبوللو هو حـورس وديميتير هى إيزيس وأرتميس هى بوباسـطيس. وعن هذه الرواية بالذات أخذ أيسخيلوس[1] بن إيوفوريون القصة التى سـردتها لأنه الوحيد دون سائر الشعراء الذين سبقوه الذى جعل أرتميس ابنة ديمتير). ومن أجل ذلك صارت الجزيرة فيما يقولون عائمة. هذه إذن هى القصة التى يرويها المصريون.

(١) شـاعر يونانى عاش من ٥٢٥ ق. م يقال إنه كتب تسعين مأساة. ضاعت ولم يبق منها إلا سبع والمأساة التى اقتبس منها هيرودوت من المآسى الضائعة.

١٥٧ وتولى بسماتيك ملك مصر أربعا وخمسين سنة، قضى منها تسعا وعشرين سنة فى حصار أزوتوس[١] حصارا متواصلا إلى أن أخذها وهى مدينة كبيرة فى سوريا. وقد صمدت أزوتوس هذه بعد حصارها مدة أكبر من كل المدن التى نعرفها.

١٥٨ وولد لبسماتيك ابن هو نيخوس، الذى تولى ملك مصر. وهو أول من حاول شق القناة التى تؤدى إلى البحر الأحمر، وقد أتم حفرها من بعده دارا[٢] الفارسى. وطول القناة مسافة إبحار أربعة أيام. وقد شقت عريضة إلى حد أن سفينتين من ذوات الصفوف الثلاثة من المجاديف تمخرانها جنبا إلى جنب. ويؤتى بالماء إليها من النيل، يؤتى به من مكان فوق مدينة بوباسطيس بقليل، بالقرب من المدينة العربية باتوموس[٣]. وتمتد القناة من هنا إلى البحر الأحمر. والجزء الأول منها محفور فى الجانب العربى من السهل المصرى. وتتصل بهذا الجانب إلى الشمال من السهل سلسلة الجبال التى تواجه منف والتى تقع فيها المحاجر. وأصغر طريق وأقصره لقطع المسافة من البحر الشمالى إلى البحر الجنوبى الذى يسمى كذلك البحر الأحمر أى من جبال كاسيوس التى تفصل بين مصر وسوريا مسافة ألف ستاد تماما إلى الخليج العربى. هذا هو أقصر طريق، أما الطريق الذى يساير القناة فأطول منه بكثير لأنه أكثر تعرجا. وقد هلك من المصريين فى عهد نيخوس أثناء عملية الحفر مائة وعشرون

(١) هى مدينة أشدود المذكورة فى العهد القديم.

(٢) حكم فارس من سنة ٥٢٢ ق. م وثارت مصر فى عهده على حكم الفرس سنة ٤٨٦ ق.م. ولكنه مات فى هذه السنة وخلفه أكزركسيس.

(٣) هى مدينة فيثوم فى العهد القديم.

ألف عامل. وتوقف نيخوس فى وسط عملية الحفر إذ أفتته نبوءة تقول إنه ينصب من أجل بربرى. فالمصريون يسمون كل من لا يتكلم لغتهم بربريا.

١٥٩ ولما توقف نيخوس عن حفر القناة انتحى نحو الشاطئ وابتنى سفنا ذات ثلاثة صفوف من المجاذيف، بعضها للبحر الشمالى وبعضها الآخر للبحر الأحمر، ابتناها فى الخليج العربى، ولازالت مراسيها بادية إلى الآن، وفضلا عن استخدام هذه السفن عند الحاجة فقد اشتبك مع السوريين فى موقعة برية فى ماجدولوس[١] وهزمهم، واستولى بعد هذه الموقعة على كاديتيس[٢]، وهى مدينة كبيرة فى سوريا. وأرسل إلى برانخيداى[٣] فى ميليسيا البزة التى كان يلبسها أثناء قيامه بهذه العمليات وأهداها إلى أبوللو، وبعد أن حكم ست عشرة سنة بأكملها، توفى تاركا السلطان لابنه بساميس[٤].

١٦٠ وفى عهد بساميس جاء إلى مصر سفراء من الإليائيين يفتخرون بأن النظام الذى اتبعوه فى المباريات الأولمبية هو أعدل وأحسن النظم الإنسانية قاطبة. وكانوا يعتقدون أن المصريين وهم أحكم الناس لن يوفقوا إلى شىء يزاد عليه. وأعلن الإليائيون عند وصولهم إلى مصر الأسباب التى حضروا

(١) يظهر أنه يعنى مجدل المذكورة فى العهد القديم وهى على حدود مصر الشرقية، ولكن الموقعة حدثت فى مجدو سنة ٦٠٩ ق.م. ويظهر أن هيرودوت لم يسمع بهزيمة نيخوس على يد نبوخذ نصر فى قرقميش سنة ٦٠٤ ق.م.

(٢) هى مدينة غزة الآن.

(٣) مدينة فى ملطية وكان فيها مهبط لوحى أبوللو. وقد أقام المهبط برانخوس بن أبوللو.

(٤) هو بسماتيك الثانى حكم مصر من سنة ٥٩٣ إلى سنة ٥٨٨ ق.م.

من أجلها. وعندئذ استدعى الملك من يقال إنهم أحكم المصريين. ولما اجتمع المصريون عرفوا مما قاله الإليائيون كل الأنظمة الموضوعة عندهم للمباريات، وبعد أن شرح الإليائيون كل الأنظمة قالوا إنهم جاءوا ليعلموا إذا كان المصريون يستطيعون أن يوفقوا إلى نظام ما عسى أن يكون أعدل منها. وتشاور المصريون وسألوا الإليائيين هل يشترك مواطنوهم فى المباريات، فأجاب هؤلاء بأن الاشتراك فى المباريات مباح لمن يشاء من الإليائيين ومن سائر اليونانيين على السواء. فقال لهم المصريون إنهم إذ وضعوا هذه القاعدة قد أخفقوا فى تحقيق العدل الشامل. ذلك بأنه لاتوجد وسيلة لا يحابون بها مواطنهم إذا اشترك فى المباريات، وبذلك يظلمون الأجانب، ولكنهم إذا أرادوا أن يحكموا بالعدل وكان ذلك سبب مجيئهم إلى مصر فليأمروا بأن تقام المباريات بين المتبارين من الأجانب، وألاّ يسمح لإليائى واحد بالاشتراك فيها. تلك هى النصيحة التى أسداها المصريون إلى الإليائيين.

**٦٦١** تولى بساميس ملك مصر ست سنوات فحسب، وتوفى بعد تسيير حملة على الحبشة مباشرة، وخلفه على العرش أبريس[1] بن بساميس. وحكم هذا خمسة وعشرين عاما سير فيها جيشا ضد صيدا، واشتبك فى موقعة بحرية مع ملك صور. ولما كُتِبَ عليه أن يصيبه الضر، أصابه نتيجة لحادثة سأشرحها بالتطويل فى تاريخ ليبيا. وسأتناولها بالاختصار فى هذا الكتاب. أرسل أبريس جيشا عظيما صد القورينائيين فأدركته مصيبة عظيمة. وسخط المصريون لذلك وثاروا عليه، فقد رأوا أن أبريس قد أرسل بهم إلى هلاك محقق حتى إذا هلكوا تيسر له أن يحكم

(١) هو الفرعون خفرع المذكور فى العهد القديم وقد حكم مصر من ٥٨٨ – ٥٦٦ ق.م.

بقيـــة المصريين بمزيد من الأمن وســـخط الذين رجعـــوا، وأصدقاء الذين هلكوا لهذه التصرفات، وثاروا عليه علانية.

٧٦٢ ولـــا درى أبريـــس بذلك أوفد إليهم أمازيـــس ليتحدث إليهم ويثنيهم عن عزمهم. وجاء هذا إليهم ســـاعيا إلى منع المصريين من إتيان هـــذا الأمر. وفيما هو يتحـــدث إليهم وقف واحد مـــن المصريين وراءه، ووضع خوذة على رأسه وبعد أن وضعها قال إنه إنما وضعها ليجعل منه ملكا. ولم يكن هذا التصرف من غير المرغوب فيه على الإطلاق لديه كما ظهر من ســـلوكه. ذلك بأنه بعد أن نصبه الثوار المصريون ملكا مباشرة، بـــدأ يجهز حملة ضـــد أبريس. فلما علم أبريس بذلـــك أوفد إلى أمازيس رجـــلا فاضلا من أفراد حاشـــيته المصريين اسمـــه باتاربيميس وأمره أن يحضـــر أمازيس إليه حيا.فلما جاء باتاربيميس نادى أمازيس. واتفق أن كان أمازيس ممتطيا صهوة جواده، فكشف له عن عورته قائلا له خذها إلى الملـــك. وبالرغم من ذلك، فقد توســـل إليه باتاربيميس أن يذهب إلى الملك الذى أرســـل فى طلبه. فأجابه هذا قائلا إنه كان يعد العدة للقيام بهـــذا الأمر منذ أمد بعيد، ولن يخيب ظن أبريس فيه، لأنه ســـيحضر شـــخصيا وســـيُحضر معه قوما آخرين. وقد بانت نيته لباتاربيميس من أقواله ومما رأى من العتاد، فرجع مسرعا ليوقف الملك بأسرع ما يستطيع علـــى ما يجرى. فلما وصل إلى أبريس دون أن يُحضر أمازيس استشـــاط هذا غضبا. ولم يعط له فرصة للكلام بل أمر بأن يجدع منه الأنف وتصلم الأذن. ولما رأى سائر المصريين الذين كانوا لا يزالون على ولائهم لأبريس

أعظم الرجال بينهم يعامل على هذا النحو من الامتهان المذرى، انضموا إلى الآخرين دون أن يترددوا لحظة واحدة، ووضعوا نفسهم رهن مشيئة أمازيس.

١٦٣ ولما علم أبريس بهذه الأمور أيضا، سلّح جنوده المرتزقة وقادهم ضد المصريين، ولقد كان تحت إمرته ثلاثون ألف جندى مرتزق من الكاريين والأيونيين، وكان قصره الضخم الباهر فى مدينة سايس. كان أنصار أبريس إذن يسيرون ضد المصريين، أما أنصار أمازيس فقد كانوا يسيرون ضد الأجانب واجتمع الفريقان كلاهما فى مدينة موممفيس وكانا على وشك الاشتباك.

١٦٤ وهناك سبع طبقات من المصريين، تدعى طبقة الكهنة، والمحاربين ورعاة البقر، ورعاة الخنازير، والتجار والتراجمة والملاحين. هذه هى طبقات المصريين. وأسماؤها مشتقة من حِرفَها. أما المحاربون فيسمون كالاسيربيس وهرموتوبيس وهم من المقاطعات الآتية فمصر بأسرها مقسمة إلى مقاطعات.

١٦٥ مقاطعات الهرموتوبيس إذن هى مقاطعات بوباسطيس وسايس وخميس وبابريميس ومقاطعة الجزيرة التى تدعى بروسوبيثيس ونصف ناثو. الهرمتوبيس يأتون من هذه المقاطعات، وهم يبلغون إذا بلغوا أقصى عددهم مائة وستين ألفا، ولا يجيد أحد منهم حرفة ما، بل هم عاكفون على الجندية.

١٦٦ أما مقاطعات الكلاسيربيس فغير هذه، وهى مقاطعة طيبة وبوباسطيس وأفثيس وتانيس ومنديس وسبينيتوس وأثريبيس وفاربايثيس

وثمويس وأنوفيس وأنوسيس وميكفوريس. وهذه المقاطعة الأخيرة تقع تجاه مدينة بوباسطيس. ويبلغ الذين يأتون من مقاطعات الكالاسيربيس، إذا بلغوا أقصى عددهم مائتين وخمسين ألف رجل. ولا يسمح لهؤلاء بالتدرب على أية حرفة، بل يتدربون على الجندية فحسب. ويخلف فيهم الولد أباه.

١٦٧ ولا أستطيع أن أقضى على وجه التحقيق فيما إذا كان اليونانيون قد أخذوا هذا التقليد أيضا عن المصريين أم لا، ولكنى ألاحظ أن التراقيين والإسكيثيين والفرس والليديين وكل البرابرة كذلك تقريبا يعتبرون المواطنين الذين يتخذون حرفا ممتهنين هم وأولادهم. أما الذين يترفعون عن الأعمال اليدوية وخصوصا الذين ينصرفون إلى الجندية فيعتبرونهم نبلاء. ومهما يكن من شيء فقد تعلم اليونانيون كلهم هذا وخصوصا اللاقيديمونيون. أما الكونثيورون فهم أقل اليونانيين ازدراء للصناع.

١٦٨ وطبقة المحاربين هى الطبقة الوحيدة فى مصر – فيما عدا الكهنة – التى تتمتع بامتيازات، فيوهب كل فرد منها اثنى عشر فدانا معفاة من الضرائب (الفدان المصرى مربع طول كل ضلع من أضلاعه مائة ذراع مصرى. واتفق أن الذراع المصرى يساوى الذراع الساموسى.) وكان الجميع يتمتعون بهذا الامتياز. أما الامتيازات التالية فيتمتعون بها بالدور ولا يتمتع بها واحد بالذات مرتين أبدا. يؤلف ألف من الكالاسيربيس مع ألف آخرين من الهرموتوبيس حرس الملك كل عام. وكان هؤلاء يمنحون كل يوم إلى جانب الفدادين مقدارا من الخبز المخبوز زنته خمسة «من»

للفـرد، و«منان» من لحـم العجول وأربعة أقداح مـن النبيذ. كانت هذه الامتيازات تمنح للذين يؤلفون الحرس الملكى فى كل مرة.

١٦٩ وعندما وصل أبريس على رأس الجنود المرتزقة وأمازيس على رأس المصريـين كلهم إلى مدينة موميمفيـس، تقابلا والتحما فى موقعة. وأبلى الأجانب بلاء حسـنا، وكانوا يقلـون عن خصومهم عددا بكثير، ولذلك هزموا. ويقال إن أبريس كان يعتقد أنه لا يوجد إله ما يسـتطيع أن يحرمه من الملك. ولكنه عندما اشـتبك فى الموقعة هزم وأُسـر وسـيق إلى مدينة سـايس، إلى القصر الـذى كان فيما مضى قصره، وأصبح الآن قصر أمازيس. وهناك استضيف فى القصر وعامله أمازيس معاملة حسنة. وأخيرا تذمر المصريون وقالوا إن أمازيس لا يلتزم جانب العدل باستضافة أعدى حدوهم وعدوه. وهكذا سـلم أبريس إلى المصريين فشـنقه هؤلاء ثم دفنـوه فى مقبرة آبائه وهى فـى معبد آثينة فى ملاصقة المحراب الذى يقع إلى يسـار الداخل. ولقد دفن أهل سـايس كل الملوك الذين نشـأوا فـى هذا الإقليم فى داخل المعبد. ومقبرة أمازيس أبعد عن المحراب من مقبرة أبريس وأسـلافه، ولكنها هى الأخرى على أية حال فى سـاحة المعبد، وهى عبارة عن رواق كبير من الحجر مزين بأعمدة تحاكى شجر النخيل، وبسـائر الزخارف الغالية. ويوجد فى الرواق من الداخل بابان منفصلان، ووراء هذين البابين القبر.

١٧٠ ويوجد كذلك فى سـايس فى حرم معبد آثينة قبر لا أعتقد أن من التقى أن أذكر اسمه فى هذا الصدد. والقبر قائم وراء الهيكل ويشغل

كل الحائـط الخلفى لمعبـد آثينة. وتقوم فى حرم المعبد كذلك مسـلتان ضخمتان من الحجر، ويوجد بجوارهما بحيرة مزينة بحافة من الحجر، وهى مهيأة على وجه حسـن على شـكل دائرة، ومساحتها تعادل فيما يخيل إلىّ مساحة البحيرة التى تسمى «البحيرة المستديرة» فى ديلوس.

١٧١ وفـى هـذه البحيرة يقوم المصريون بالليـل بتمثيل آلامه التى يسميها المصريون أسرارا. وبالرغم من معرفتى التامة بكل من هذه المراسم فإنى سألتزم الصمت الخاشع بشأنها. أما فيما يتعلق بعيد ديميتير الذى يسـميه اليونانيون ثسموفوريا[1] فسألتزم الصمت الخاشع بشأنه أيضا إلا فيمـا يمكننـى أن أصفه من مراسمه. وبنات دنـاؤس هن اللائى أدخلن هذا العيد من مصر، وعلمنه للنسـاء البيلاسجيات. ولكنه ضاع بعد ذلك عندما أجلى دناؤس عن البيلوبونيز بأسره على يد الدوريين. واحتفظ به الأركاديـون وحدهم لأنهم هم الذين بقـوا من البيلوبونيزيين، ولم يجلوا عنه.

١٧٢ وبعد أن قُتل أبريس على هذا النحو تولى أمازيس الملك، وكان ينتمى إلى مقاطعة سـايس. أما المدينة التى نشـأ منها فإسمها سـيوف. ولقـد ازدراه المصريـون أول الأمر ولم يقيموا لـه وزنا على الإطلاق. لأنه كان من قبل من عامة الشـعب، ولم ينحدر من بيت شهير. واسترضاهم أمازيـس فيمـا بعد بحكمـة ولطف. فقد كانت عنـده تحف مختلفة لا تحصى من بينها طست ذهبى لغسل الأقدام كان أمازيس نفسه وضيوفه جميعا يغسلون فيه أقدامهم فى بعض الأحيان، فكسره وصنع منه تمثالا

(١) هو عيد ديميتير المقننة، كانت الآثينيات يحيينه فى الخريف.

لإلـه وأقامه فى أنسـب مكان مـن المدينة. وجعـل المصريون يتوجهون للتمثـال ويعظمونـه تعظيما كبيرا. ولما علم أمازيس بسـلوك أهل المدينة هذا. اسـتدعى المصريين وبـيّن لهم أن التمثال متخذ من طسـت، وأن المصريين كانوا فيما مضى يتقيئون فى الطسـت ويغسـلون فيه أقدامهم، وهم الآن يخشعون له خشوعا عظيما. ثم مضى فى حديثه قائلا إن أمره مثل أمر الطست، فإنه كان حقا فيما مضى من عامة الشعب ولكنه الآن ملكهـم، وأمرهم بتعظيمه وتبجيله. وبهذه الطريقة اسـترضى المصريين حتى قبلوا الخضوع له.

١٧٣ وكانت شئونه اليومية منظمة على هذا النحو. يصرِّف باجتهاد ما يُعرض عليه من شـئون من الصباح المبكر إلى وقت اكتظاظ السـوق، ومـن ذلك الوقت يشـرب ويمزح مع خلانه ويكـون ماجنا عابثا.وضاق أصدقـاؤه بهذا السـلوك ولاموه قائلين «أيها الملك إنك لا تحكم نفسـك بطريق الصواب، إذ إنك تدفعها إلى هذا العبث الشديد، وينبغى لك أن تجلـس مهيبا على عرش مهيب، وتصرِّف شـئون الدولة طوال النهار، فعندئـذ فقط يعلم المصريون أن رجـلا عظيما يحكمهم، فيكون له صيت أبعد بينهم. أما الآن فإن ما تفعله لا يليق بملك على الإطلاق». فأجابهم أمازيس قائلا «إن أصحاب الأقواس إذا احتاجوا إلى اسـتعمالها شدوها، فإذا فرغوا من اسـتعمالها أرخوها. لأنها إذا ظلت طوال الوقت مشدودة انقطعت فلا يسـتطيع أصحابها استعمالها فى وقت الحاجة. وهذا شأن طبيعة الإنسان تماما.إذا أراد أن يكون جادا دائما ولم يسمح لنفسه باللهو

بعـض الوقت فإما أن يجن دون أن يشـعر أو يصبح مخبولا. وإنى أعلم هذه الحقيقة ولذلك أفرد جزءا من وقتى لكل من الأمرين». هكذا أجاب أصدقاؤه.

**١٧٤** ويقـال إن إمازيـس كان محبا للخمر والمزاح حتى حينما كان فردا من عامة الشعب. وكان كلما أعوزته ضرورات الحياة من جراء سكره ومجونـه، يطوف بالمدن وينهب النـاس. وكان الناس يتهمونه بأنه هو الذى سـطا على ممتلكاتهم، وكانوا عندما ينكر يسوقونه إلى أقرب وحى إليهـم وكثيرا ما أدانه الوحى وكثيرا ما برأه أيضا. ولما تولى الملك تصرف كمـا يأتى: لم يأبه لمعابد تلك الآلهـة التى أفتت بأنه برىء. ولم يهب لها شـيئا لإصلاحها ولم يزرها للتضحية، لأنه اعتبرها غير أهل لشىء وكاذبة النبوءات. أما الآلهة التى أفتت بأنه سـارق فقد عنى بها أشـد العناية باعتبار أنها آلهة حقا تصدر نبوءات صادقة[1].

**١٧٥** وابتنـى أولا صرحا رائعا لمعبد آثينة فى سـايس يفضل جميع الصـروح بكثير مـن ارتفاعه وضخامته كما يفضلها فـى ضخامة أحجاره ونوعهـا، ثم أقام تماثيل ضخمة وآباء هول ماردة، وأحضر فضلا عن ذلك حجارة بالغة الضخامة للترميم، أحضر بعضها من مقالع الأحجار التى فى منف وبعضها الآخر المفرط الضخامة من مدينة الفنتين وهى على مسـافة إبحار عشرين يوما من سايس. وأشد ما استرعى عجبى من هذه الأحجار، حجر هذا وصفه: حُجرة من حجر واحد أرسـله من مدينة الفنتين، وقد أحضره فى ثلاث سـنوات، واستخدم فى جرِّه عشرين ألف عامل، كلهم

(١) وجدت قصة تصور حب أمازيس للخمر فى ورقة بردية ديموطيقية من ذاك العصر.

من طبقة الملاحين، وطول هذه الحجرة من الخارج إحدى وعشرون ذراعا، وعرضها أربع عشرة ذراعا، وارتفاعها ثمانى أذرع. هذه هى الأبعاد الخارجية للحجرة المكونة من حجر واحد أما من الداخل فطولها ثمانى عشرة ذراعا وعشرون إصبعا وعرضها اثنتا عشرة ذراعا وارتفاعها خمس أذرع، وهى تقع بجانب مدخل المعبد ويقولون إنها لم تحسب إلى الداخل لهذا السبب: كان رئيس البنائين يسحب الحجر فتنهد لطول ما استغرق العمل من وقت ولأنه ناء بالعمل فتوجس أمازيس ولم يسمح بسحبها إلى أبعد مما وصلوا بها. هذا ويذهب البعض إلى أن واحدا من الذين كانوا يرفعونها تهشم تحتها، ولذلك لم تسحب إلى داخل المعبد.

١٧٦ وأقام أمازيس كذلك فى سائر المعابد المهمة كلها نصبا جديرة بالمشاهدة لضخامتها، منها تمثال ضخم ملقى على ظهره أمام معبد هيفايستوس، طوله خمسة وسبعون قدما.ويقوم على قاعدة هذا التمثال نفسها تمثالان ضخمان من الحجر الحبشى، كل منهما حجمه عشرون قدما وكل منهما فى أحد جانبى التمثال الكبير. وهناك تمثال آخر حجرى بهذا الحجم فى سايس ملقى مثل التمثال الذى فى منف. وأمازيس هو بانى معبد إيزيس فى منف، وهو كبير الحجم، يستحق المشاهدة كل الاستحقاق.

١٧٧ ويقال إن مصر كانت فى عهد أمازيس شديدة الرخاء، وذلك من حيث ما يصيب الأرض من النيل وما يصيب الناس من الأرض جميعا، وأنه كان فيها فى ذلك العصر ألف مدينة عامرة على الجملة.

وأمازيس هو الذى وضع للمصريين هذا القانون الذى ينص على أنه على كل فرد من المصريين أن يبين كل سنة لحاكم الإقليم مورد عيشه، فإذا لم يفعل ولم يثبت أن له مورد عيش حلال عوقب بالموت.

ولقد أخذ صولون[1] الآثينى هذا القانون عن مصر ووضعه للآثينيين وهم يعملون به إلى الآن، فهو قانون لا عيب فيه.

**١٧٨** وصار أمازيس محبا لليونانيين، ومنح بعضهم امتيازات أهمها أنه منح الذين هاجروا إلى مصر نوقراطيس ليسكنوها، أما الذين لم يشاءوا منهم سكناها، وكانوا يزورونها فقط، فقد وهبهم أراضى ليبنوا عليها هياكل ومعابد لآلهتم. وأعظم هذه المعابد وأشهرها وأكثرها زوارا هو الهيلينيوم فقد ساهمت فى بنائه هذه المدن: خيوس، وتيوس، وفوكايا، وكلازومينای من المدن الأيونية، وردس، وكنيدوس، وهاليكارناسوس، وفاسيليس من المدن الدورية، ومدينة أيوليه واحدة هى ميتيلينى. هذا المعبد إذن تابع لهذه المدن، وهى التى تعين موظفى الميناء التجارية. أما المدن الأخرى التى تدَّعى نصيبا لنفسها فيه، فهى تدعى شيئا ليس لها فيه نصيب. وانفرد أهل إيجينا ببناء معبد خاص بهم لزيوس، وابتنى الساموسيون معبدا لهيرا، والملطيون معبدا لأبوللو.

**١٧٩** وكانت نوقراطيس فى العصر القديم الميناء التجارية الوحيدة ولم يكن فى مصر ميناء غيرها. فإذا رسى أحد فى أى فرع آخر من فروع النيل تحتم عليه أن يقسم أنهُ لم يأت راضيا ثم بعد أن يقسم عليه

(١) المشرع الآثينى، عاش من ٦٤٠ – ٥٥٨ ق.م. وكان حاكما فى أثينا سنة ٥٩٤ ق.م فلا يمكن أن يكون قد اقتبس تشريعاته من قوانين أحمس الذى صار ملكا سنة ٥٦٩ ق.م.

أن يبحر بمركبه وما عليها إلى الفرع الكانوبى، فإذا استحال الإبحار لهبوب رياح مضادة وجب عليه أن ينقل حمولة سفينته فى قوارب حول الدلتا إلى أن يصل إلى نوقراطيس، وهكذا كانت لنوقراطيس مكانة ممتازة.

**١٧٨** ولما تعاقد الأمفيكتيونيون[1] على بناء المعبد القائم الآن فى دلفى بمبلغ ثلاثمائة طالنط، إذ تصادف أن احترق المعبد الذى كان فى مكانه فيما سبق، وتعين على أهل دلفى أن يؤدوا ربع المبلغ المتعاقد عليه، طفقوا يزورون المدن، وجمعوا فى هذه الزيارات من مصر لا أقل مما جمعوا من البلدان الأخرى، ذلك أن أمازيس وهبهم ألف طالنط من الشب، وأعطاهم اليونانيون المقيمون فى مصر عشرين منا.

**١٧٩** وعقد أمازيس معاهدة صداقة مع القورينائيين وشاء أن يتخذ زوجة منهم، وذلك إما لأنه اشتهى زوجا يونانية أو من أجل صداقته للقورينائيين. مهما يكن من شىء فقد تزوج من ابنة باتوس بن أركيسيلاوس فى قول البعض وابنة كريتوبولوس وهو مواطن شهير فى قول البعض الآخر، وكان اسمها لاديكى. ولما جاء أمازيس لإتيانها لم يجد فى نفسه قدرة على ذلك، مع أنه كان قادرا على إتيان نسائه الأخريات. ولما تكرر ذلك كثيرا خاطب الملك زوجه لاديكى قائلا «أيتها المرأة، إنك قد سحرتنى ولاشك، فتيقنى الآن أنك لابد ستهلكين أشنع مما هلكت امرأة من قبل». واحتجت لاديكى عبثا ببراءتها، ولكن

(١) الكلمة معناها «المجاورون» وهو اسم حلف من المدن الواقعة فى الشمال الشرقى من بلاد اليونان.

أمازيس لم يلن وعندئذ نذرت فى سرها لأفروديت أنها إذا ضاجعت زوجها فى الليلة المقبلة – إذ لم يكن قد بقى لها من الوقت أكثر من ذلك – فإنها ستهدى الإلهة تمثالا فى قورينة. وجامعها أمازيس بعد صلاتها مباشرة، ومنذ ذلك الحين كان يأتيها كلما ضاجعها. وأصبح أمازيس يحبها حبا شديدا منذ ذلك الحين. ووفت لاديكى بنذرها، فأمرت بصنع تمثال وأرسلته إلى قورينة. ولازال التمثال إلى يومنا هذا قائما مستدبرا بوجهة المدينة ومتجها إلى الخارج. أما عن لاديكى نفسها فإنه عندما غزا قمبيز مصر وعلم من هى أرسلها إلى قورينة دون أذى.

١٨٢ وأرسل أمازيس أيضا نصبا إلى بلاد اليونان، فأرسل إلى قورينة تمثالا لآثينة مكسوا بالذهب، وصورة له مرسومة، وأرسل إلى آثينة فى ليندوس تمثالين من الحجر ومشدا للصدر من الكتان كلها جديرة بالمشاهدة. وأرسل كذلك إلى ساموس باسم هيرا تمثالين لنفسه من الخشب لا يزالان قائمين فى المعبد الكبير وراء الأبواب إلى زمانى هذا. وأرسل الهدايا إلى ساموس تعزيزا لصلات الود بينه وبين بوليقراطيس[1] ابن أياكيس. وليس من أجل صلات ود ما أرسله إلى ليندوس، بل لأن معبد آثينة فى ليندوس كان قد ابتناه فيما يقال بنات دناؤس حينما حططن هناك أثناء هربهن من وجه أبناء ايجيتبوس. هذه هى الهدايا التى قرّبها أمازيس وهو أول من استولى على قبرص وأخضعها وفرض عليها الجزية.

(١) هو طاغية ساموس، حكمها من سنة ٥٣٢ إلى سنة ٥٢٢ ق.م. وأنشأ أسطولا بحريا عظيما، سيطر به على الجزر المجاورة له، ووطد الصداقة بينه وبين أحمس.

# أسماء المدن

| المدينة | رقم الفصل | الموقع الآن |
|---|---|---|
| أتاربيخيس | ٤ | مدينة فى الدلتا فى إقليم بروسوبيس |
| أثريبيس | ١٦٦ | تل أتريب بالقرب من بنها |
| أرخاندروس | ٩٧، ٩٨ | مدينة فى الدلتا بين الفرع الكانوبى ونوقراطيس |
| إريثرابولوس | ١١١ | الجبل الأحمر |
| أسوان | ٢٨ | أسوان |
| أفثيس | ١٦٦ | موقعها غير معروف |
| إلبو | ١٤٠ | جزيرة فى الدلتا موقعها غير محقق |
| الفنتين | ١٧، ١٨، ٢٨-٣١، ٦٩، ١٧٥ | جزيرة الفنتين فى مقابلة أسوان |
| أنثيللا | ٩٧، ٩٨ | مدينة بين الفرع الكانوبى ونوقراطيس |
| أنيسيس | ١٣٧ | تل بليم شمال غرب القنطرة |
| أونوفيس | ١٦٦ | تل بلال فى الجنوب الغربى من دكرنس |
| بابريميس | ٥٩، ٦٣، ٧١، ١٦٥ | قد تكون جزءا من تل الفرما |
| باتوموس | ١٥٨ | تل المسخوطة بالقرب من أبى صوير |
| بوباسطيس | ٥٩، ٦٠، ٦٧، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٨ | تل بسطة بالقرب من الزقازيق |
| بوطو | ٥٩، ٦٣، ٦٧، ٨٣، ١١١، ١١٣، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦ | كوم الفراعين بالقرب من إبطو |
| بوسيريس | ٥٩ | أبوصير بابا جنوب سمنود |
| بيلوزيوم | ١٥، ١٤١ | تل الفرما |
| تانيس | ١٦٦ | صان الحجر |
| ثمويس | ١٦٦ | تل تماى الأمديد |
| خميس | ١٥٦ | جزيرة بالقرب من بوطو |
| خميس | ٩١، ١٦٥ | أخميم |
| دفناى | ٣٠، ١٠٧ | كوم دفنا، غرب القنطرة |

| | | |
|---|---|---|
| سايس | ٢٨، ٥٩، ٦٢، ١٣٠، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦ | صا الحجر |
| سبينيتوس | ١٦٦ | سمنود |
| سيوف | ١٧٢ | مدينة فى مقاطعة سايس |
| طيبه | ٣، ٩، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٩، ١٤٣ | الأقصر |
| فاربيثوس | ١٦٦ | هوربيط شمال شرق الزقازيق |
| كانوبوس | ١٥، ٩٧ | كوم سمعدى فى الشمال الشرقى من الإسكندرية |
| كركاسورس | ١٥، ١٧، ٩٧ | قد تكون الورّاق |
| ماريا | ١٨، ٣٠ | على شاطئ مريوط تجاه مقام سيدى كرير |
| مدينة التمساح | ١٤٨ | مدينة الفيوم |
| منف | ٢، ٣، ٨، ١٠، ١٢– ١٤، ٩٧، ٩٩، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨، ١٧٥، ١٧٦ | ميت رهينة |
| منديس | ١٦٦ | تل الربع |
| موممفيس | ١٦٣، ١٦٩ | كوم أبوبيلو |
| ميكفوريس | ١٦٦ | موقعها غير معروف |
| نوقراطيس | ٩٧، ١٣٥، ١٧٨، ١٧٩ | كوم جيف بالقرب من نقراش |
| نيابوليس | ٩١ | المنشاة |
| هرموبوليس | ٦٧ | الأشمونين |
| هيليوبوليس | ٣، ٧– ٩، ٥٩، ٦٣، ٧٣ | المطرية |

# أسـماء الآلهة

| الإله فى اليونانية | رقم الفصل | الإله فى المصرية |
|---|---|---|
| إبافوس | ١٥٣ | نيث |
| أبوللو | ١٥٩، ١٧٨ | حورس |
| آثينة | ٢٨، ٥٩، ٨٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٢ | نيث |
| أرتميس | ٥٩، ٦٠، ٨٣، ١٣٧، ١٥٦ | باسط |
| آريس | ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٨٣ | شو |
| إيو | ٤١ | هاتور |
| بان | ٤٦، ١٤٥، ١٤٦ | مين |
| برسيوس | ١٥، ٩١ | مين |
| ديميتير | ٥٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٦، ١٧١ | إيزيس |
| ديونيسوس | ٢٩، ٤٢، ٤٧– ٤٩، ٥٢، ١٤٤–١٤٦ | أوزيريس |
| زيوس | ١٣، ٢٩، ٤٢، ٤٤، ٥٥، ٧٤، ٨٣، ١١٦، ١٣٦، ١٤٦، ١٧٨، ١٨٢ | آمون |
| سيليني (القمر) | ٤٧ | نخبت |
| طيفون | ١٤٤، ١٥٦ | ست |
| ليطو | ٥٩، ٨٣، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦ | بوتو |
| هرقل | ٣٣، ٤٢– ٤٤، ٨٣، ١١٣ | خنسو |
| هرمس | ٥١، ١٣٨، ١٤٥ | توت |
| هيليوس (الشمس) | ٥٩، ٧٣ | رع أو آتوم |
| هيفايستوس | ٣، ٩٩، ١٠١، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١٢١، ١٣٦، ١٤١، ١٥١، ١٧٦ | بتاح |

# المقاييس

القـــــــدم = ٠,٣٠٨٨ من المتر أو ١٢,١٦ من البوصة

ذراع[1] = $\frac{1}{2}$ ١ قـــدم = ٠,٤٦٣٢ من المتر

بـــــــاع = ٦ أقـــدام = ١,٨٥٣ مترًا

بليثـــــــرون = ١٠٠ قـــدم = ٣٠,٨٨ مترًا

ستـــــــاد = ٦٠٠ قـــدم = ١٨٥,٣ أمتار

فرسخ = ٣٠ ستاد = ٥,٥٦ كيلومترا

سخينـــــوس = ٦٠ ستـــاد = ١١,١٢ كيلومترًا

رحلـة يـوم برًا = ١٥٠ ستـــاد = ٢٨ كيلو متر تقريبًا

رحلـة يوم بحرًا = ٧٠٠ ستـــاد = ١٣٠ كليو متر تقريبًا

رحلـة ليلة بحرًا = ٦٠٠ ستـاد[2] = ١١١ كيلو متر تقريبًا

# النقد

المـــــــن = ١٠٠ دراخمة

طـــالنـــط = ٦٠ منـــًا = ٢٤٠ جنيهًا تقريبًا

وهذه كانت تستعمل بهذه النسب كموازين، والمن (وزن) = $\frac{1}{2}$ ١ رطلا.

---

(١) الذراع المصرية تساوى ٠,٥٢٥ من المتر وهى تساوى بالنسبة إلى الذراع الأوليمبية ١٧ إلى ١٥ وهذه هى الذراع التى كان المصريون يستعملونها فى مساحة الأرض وقياس ارتفاع النيل.

(٢) وهذا يساوى خمس عقد بحرية تقريبًا. الستاد فى البحر يساوى نصف دقيقة عرض أو ٦/ ١٠٠ من درجة العرض.

# فهرس


إبافوس ١٥٣
أبريس ١٦١، ١٦٩
أبوللو ١٥٩، ١٧٨
أبومنجل ٧٥، ٧٦
أبيس ١٨، ١٥٣
أتاربيخيس ٤١
أثريبيس ١٦٦
أثينا ٥١
آثينة ٢٨، ٥٩، ٨٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٢
آثينيون ٥١، ١٧٧
أحباش ٣٢، ٣٩، ١٤٠، ١٣٧– ١٤٠
أخائيون ١٢٠
أخيلوؤس ١٠
أخينياديس ١٠
أرتميس ٥٩، ٦٠، ٨٣، ١٣٧، ١٥٦
أرخاندروس ٩٧، ٩٨
أرخيديكى ١٣٥
أركاديس ١٧١
آريس ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٨٣
أزوتوس ١٥٦
أسارحادون ٣٢، ٣٣
إسبرطة ١١٣، ١١٧
أسماخ ٣٠
أسوان ٢٨
آسيا ١٦، ١٧، ١٠٣، ١١٧
أسيخيس ١٣٦
آشور ١٧
آشوريون ١٧، ٣٠، ١٤١، ١٥٠
أفثيس ١٦٦
أفروديت ٤١، ١١٢، ١٨١
أفروديسوم ١١٢
إفسوس ١٠، ١٤٨
أكرنانيا ١٩
البحر الأحمر ٨، ١١، ١٠٢، ١٥٨، ١٥٩
إلبو ١٤٠
الإسكندر ١١٣ – ١١٧
الخليج العربى ١١، ١٠٢، ١٥٨
إلفنتين ٩، ١٧، ٢٨، ٦٩، ١٧٥
الطمى الأحمر ١١١
ألكمينة ٤٣، ١٤٥
إلياثيون ١٦٠
إلياذة ١١٦، ١١٧

أمازيس ١٥٤، ١٦١– ١٦٣، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٢
أمفيتريون ٤٣
أمفيكتيون ١٨٠
آمون ٤٢، ٥٥
آمونيون ٣٢، ٣٣، ٤٢
أميرتايوس ١٤٠
أنثيلا ٩٧، ٩٨
أنيسيس ١٣٧، ١٤٠، ١٦٦
أوديسية ١١٦
أوروبا ١٦، ٢٦، ٣٣، ١٠٣
أورفية ٨١
أوزوس ١٤٤
أوزوريس ٤٢، ٤٧، ٤٨، ١٢٣، ١٤٤– ١٤٦، ١٥٦
أوقيانوس ٢١، ٢٣
أونوفيس ١٦٦
إيادمون ١٣٤
ايتيارخوس ٣٢، ٣٣
ايسوبوس ١٣٤
إبزيس ٤١، ٤٢، ٥٩، ٦١، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٦، ١٧٦
ايستر (الطونة) ٢٦، ٣٣، ٣٤
إيستريا ٣٣
إيو ٤١
إيوفوريون ١٥٦
أيونية ١٠٦
أيونيون ١، ١٥– ١٧، ٦٩، ١٠٢، ١٥٤، ١٧٨
بابل ١٠٩
بابريميس ٥٩، ٦٣، ١٦٥
باتاربيميس ١٦٢
باتوموس ١٥٨
بان ٤٦، ١٤٥، ١٤٦
بحر إيجة ٩٧، ١١٣
برانخيداى ١٥٩
بردى ٧٣، ٩٢
برسيوس ١٥، ٩١
بروتيوس ١١٢ – ١٢١
بروسوبيتيس ٤١، ١٦٥
بروميس ١٤٣
برياموس ١٢٠
بساميس ١٦٠
بسماتيك ٢، ٢٨، ٣٠، ١٥١– ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨
بط ٧٧

بقرة ١٨، ٤١، ١٢٩– ١٣٢
بـلاد العـرب ٨، ١٢، ١٥، ١٩، ٧٣، ٧٥، ١٢٤
بلاد اليونـان ٤٤، ٥٠، ٥٦، ٩١، ١٠٤، ١١٤، ١٣٥، ١٨٢
بلينثى ٦
بوباسطيس ٤٩، ٥٩، ١٣٧، ١٥٦، ١٦٦
بوطـو ٥٩، ٦٣، ٦٧، ٧٥، ٨٣، ١١١، ١٣٣
بوسيريس ٤٠، ٥٩، ٦٠
بوزيدون ٤٣، ٥٠
بولبيتى ١٧
بوليدامنا ١١٦
بوليقراطيس ١٨٢
بيسا ٧
بيلوبونيز ١٧١
بيلوزيوم ١٥، ١٧، ٣٦، ١٤١، ١٥٤
بينيلوبى ١٤٥، ١٤٦
بيوشيا ٤٩
تاخومبسو ٢٩
تانيس ١٦٦
تراقيا ١١٣، ١٣٤، ١٦٧
تمساح ٦٨ – ٧٠
تينداروس ١١٢
تيوثرانيا ١٠
تيوس ١٧٨
تيوكريون ١١٨
ثاسوس ٤٤
ثرمودون ١٠٤
ثسموفوريا ١٧١
ثعبان ٧٤، ٧٥
ثمويس ١٦٦
ثميس ٥٠
ثونيس ١١٣، ١١٤
جورجو ٩١
حبشة ١١، ٢٨، ٣٠، ١١٠، ١١٤، ١٣٩، ١٤٦، ١٦١
حِرَف ١٦٤
خاراكسوس ١٣٥
خفرع ١٢٧، ١٢٨
خميس ٩١، ١٥٦، ١٦٥
خنزير ١٤، ٤٧
خوذة ١٥١
خيوس ١٣٥، ١٧٨
دارا ١١٠، ١٥٨
دافنای ٣٠، ١٠٧
دانای ٩١

داناؤس ٩١، ٩٨
دلتا ١٣، ١٥– ١٨، ٤١، ٥٩، ٩٧، ١٧٩
دلفى ١٣، ١٥– ١٨، ٤١، ٥٩، ٩٧، ١٧٩
دودونا ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٥٨
دوريون ١٧٨
ديوسقوروى ٤٣، ٥٠
ديوميديس ١١٦
ديونيسوس ٢٩، ٤٢، ٤٧– ٤٩، ٥٢، ١٤٤، ١٤٦
ديميتير ١٢٢، ١٢٣، ١٥٦، ١٧١
رامبسينيتوس ١٢١، ١٢٢– ١٢٤
رودوبيس ١٣٤، ١٣٥
رودس ١٧٨
زيت الخروع ٩٤
زيوس ١٣، ٢٩، ٤٢، ٤٤، ٥٥، ٧٤، ٨٣، ١١٦، ١٣٦، ١٤٦، ١٧٨، ١٨٢
ساردا نابللوس ١٥٠
ساردىس ١٠٦
سافو ١٣٥
ساموثراقيا ٥١
ساموس ١٤٨، ١٦٨، ١٧٨، ١٨٢، سايس ٢٨، ٥٩، ٦٢، ١٣٠، ١٦٣، ١٦٩
سباكو ١٣٧– ١٣٩، ١٥٢
سبينيتوس ١٧، ١٥٥، ١٦٦
سربونى ٦
سكاماتدرونيموس ١٣٥
سكيثيا ٢٢، ١٠٣، ١١٠، ١٦٧
سكيثيون ١٠٣
سمك ٣٧، ٧٢، ٧٧، ٩٢، ٩٣، ١٤٩
سميرنا ١٠٦
سميلى ١٤٥، ١٤٦
سنخاريب ١٤١
سوريا ١٢، ٢٠، ٣٠، ١٠٤، ١٠٦، ١٥٩
سولوئيس ٣١
سيثوس ١٤١
سيرتيس ٣٢، ١٥٠
سيسوستريس ١٠٢– ١٠٤، ١٠٦– ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٣٧
سينوب ٣٤
سيوف ١٧٢
صور ٤٤، ١١٢، ١٦١
صولون ١٧٧

صيدا ١١٦، ١٦١
طروادة ١٢٠، ١٤٥
طيبة ٣، ٩، ١٥، ٥٤– ٥٦، ٥٨، ٦٩، ٧٤، ٩١، ١٤٣، ١٦٦
طيفون ١٤٤، ١٥٦
فاربايثوس ١٦٦
فارناسيس ١
فاسيس ١٠٣
فاسيليس ١٧٨
فاللوس ٤٨، ٤٩، ٥١
فريجيون ٢
فوكايا ١٠٦، ١٧٨
فيروس ١١١
فيليتيون ١٢٨
فينيقية ٣٢، ٤٤، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٧٩
فينيقيون ١١٣، ١١٦، ١٠٤
قربان ١٣٥، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٢
قط ٦٦، ٦٧
قمبيز ١
قنوات ١٠٨، ١٥٨
كادميون ٤٥، ٤٩
كاديتيس ١٤٩
كالاسيريين ١٦٤ – ١٦٨
كانوبى ١٥، ١٧، ١١٣، ١٧٩
كركاسوروس ١٥، ١٧، ٩٧
كيكى ٩٤
لابيرنث ١٤٨
لاديكى ١٨١
ليبيا ١٥– ١٨، ٢٤– ٢٦، ٥٤– ٥٦، ٦٥، ٧٧، ٩١، ٩٩، ١٢٤، ١٥٠، ١٥٨، ١٦١
ليطو ٥٩، ٨٣، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦
لينوس ٧٩
ماجدولوس ١٥٩
مارية ١٨، ٣٠
ماكرونيون ١٠٤
مانيروس ٧٩
مايأندر ٣٩
مباريات ٩١
مرتزقة ١٥٤، ١٧٨
مروى ٢٩
مسلة ١١١، ١٧٠
ملطية ٣٣، ١٥٩، ١٧٨
ممنون ١٠٦
منف ٣، ٨، ١٠، ١٢– ١٤، ٩٧، ٩٩، ١١٢، ١١٥، ١١٩،

١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨،
١٧٥، ١٧٦
منقرع ١٢٩– ١٣٣، ١٣٦
منديس ٤٢، ٤٦، ١٤٥
موفى ٢٨
موممفيس ١٣، ١٠١
مويريس ٤، ٦٩، ١٤٨، ١٤٩
ميتيلينى ١٣٥
مينا ٤، ٩٩
مينيلاوس ١١٣، ١١٦، ١١٨، ١١٩
ميكفوريس ١٦٦
ميلامبوس ٤٩
ناثوس ١٦٥
نسامونيون ٣٢، ٣٣
نوقراطيس ٩٧، ١٣٥، ١٧٨–١٨٠
نيابوليس ٩١
نيتوكريس ١٠٠
نيسا ١٤٦
نيقوس ١٥٢، ١٥٨، ١٥٩
نينوى ١٥٠
هاليكارناسوس ١٧٨
هرقل ٣٣، ٤٢– ٤٤، ٨٣، ١١٣
هرمس ٥١، ١٣٨، ١٤٥
هرموبوليس ٦٧
هليوس ٥٩، ٧٣
هليوبوليس ٣، ٧ – ٩، ٥٩، ٦٣، ٧٣
هوميروس ٢٣، ٥٣، ١١٦، ١١٧
هيرا ١٧٨
هيسيودوس ٥٣
هيفايستوس ٣، ٩٩، ١٠١، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١٢١، ١٣٦، ١٤١، ١٤٧، ١٥١، ١٧٦
هيكاتيوس ١٤٣
هيكتور ١٢٠
هيلين ١١٢، ١١٣، ١١٥–١٢٠

# المشتمل*

١- غزو قمبيز لمصر
٢- ١٣ وصف مصر
١٤ الزراعة فى مصر
١٥- ١٨ حدود مصر
١٩- ٣١ النيل
٣٢ داخلية ليبيا
٣٣- ٣٤ مقارنة بين نهرى النيل والطونة
٣٥- ٣٦ العادات المصرية
٣٧- ٤٨ الطقوس الدينية
٤٩- ٥٧ الصلات بين الدين المصرى والدين اليونانى
٥٨- ٦٤ الأعياد المصرية
٦٥- ٧٦ الحيوانات المقدسة فى مصر
٧٧- ٨٤ الحياة اليومية فى مصر
٨٥- ٩٠ الجنائز
٩١ عبادة برسيوس
٩٣- ٩٥ عادات سكان إقليم المستنقعات
٩٦ السفن المصرية
٩٧ الملاحة الداخلية فى وقت الفيضان
٩٩- ١١١ مينا وخلفاؤه
١١٢- ١٢٠ قصة هيلين
١٢١- ١٢٢ رامبسينيتوس
١٢٣ تناسخ الأرواح
١٢٤- ١٣٥ بناة الأهرام
١٣٦- ١٤٣ الأحباش فى مصر
١٤٤- ١٤٦ عهد الآلهة
١٤٧- ١٥٢ الآلهة الاثنى عشر
١٥٣- ١٦٩ أسرة بسماتيك
١٧٠ قبر أوزوريس
١٧١ العقائد السرية المصرية
١٧٢- ١٨٢ أمازيس

* الرقم يشير إلى الفصل.

| رقم الإيداع | ٢٠١٣ / ٤٦٢٢ |
| --- | --- |
| الترقيم الدولى | ISBN 978-977-02-7767-6 |

١/ ٢٠١٣ / ٢٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)